07551681

SEP 24 1976

بداية كفاح

لقاء - نضجه - فناء ...

تأليف

نمر علي السلموني

صدرت نقابة المعلمين المركزية على طبعه

69 . ف . كان هو

بداية كفاح

(كفاح ، تضحية ، فداء)

تأليف

يونس علي حسين الشلهومي

ساعدت نقابة المعلمين على طبعه

مطبعة الجمهورية ـ الموصل

DS
119.7
.S53

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

الى المارد العربي الذي حطم القمقم .

الى أطفال ١٩٤٨ وأبطال الوقت الحاضر

الى الفدائيين العرب :

من سكن منهم جنات الخلد ومن لا يزال ينتظر

الى الشباب الطيب من ابناء الامة العربية

الى أبطال الكرامة : والى كل من يعتز بكرامته ويملك بين ضلوعه قلباً ينبض بالانسانية والحق .

« الى الامة العربية جمعاء »

أهدي هذه القصة .

يونس الشلهومي

المقدمـــة

لست أكتب هذه المقدمة لاطراء كتابي . ولكنني رغبت بعد تردد طال ان ابين ما دفعني الى الكتابة :

لم يدر في خلدي ان اكتب لاكـون كاتباً يشار اليـــه بالبنان في يوم من الأيام ولست من الذين يرغبون في ان يمتهنوا الكتابة القصصية ولقد دفعـني الى الكتـابة هو احساسي بالضرورة التي تحتم على كل فرد عربي ان يقدم من اجل المعركة مع عدونا الصهيوني ومن هم وراءه كل جهده ولما يتطلبه الوضـــع الذي تمر به امتنا العربية حول ضرورة التحدث عن المعركة ولاجلها فقط رغبت فى ان اشارك بقلـبي الى جانب السواعد السمر الأبية .

كما شجعني على ذلك سببان أولهما أن عدداً ليس بالقليل من أبناء امتنا العربية عندما تتطلب الظروف منهـــم تقديم العون المـــادي أو المعنوي لمنكوبي فلسطين يتذرعون أن الفلسطينيين هم الذين باعوا أراضيهم وارتصوا التشريد ولا يعلم هؤلاء مقدار العذاب الذي تحمله المشردون ولا الأسباب الـتي جعلتهم يبيعون أراضيهم ويهجرونها . ولتوعية هؤلاء ادرج ضمن قصتي هذا النزر اليسير من الاسباب الـتي اجبرت الفلسطينيين على ترك ديارهم .

والسبب الثاني لا يقل أهمية عن السبب الأول وهـو موجه للجميع عامـــة وللغربيين خاصة وهو أن عداء الأمة العربية ليس مع الديانة اليهودية وليس مـــع يهود العالم كما تصور الدعاية الصهيونية بل أن هـذا العداء مع الصهيونية العنصريه التي جاءت لكي تسلبنا حقنا وتشتت شـملنا . فالدين اليهودي دين سماوي لسنـا في

عداء معه ونأخذ عبرتنا في ذلك من قادتنا العظام أولهم قائدنا ونبينا محمد (ص) الذي رضي ببقاء اليهود في خيبر وان يمارسوا شعائرهم الدينية مع المسلمين ولم يمنعهم احد من ذلك الى أن خانوه وتآمروا عليه فقاتلهم وطردهم، وقائدنا الثاني عمر بن الخطاب (رض) الذي فتح القدس وأمر ببقاء الأديان الأخرى لتمارس شعائرها الدينية ونحن الامة التي تسير على هدى قادتها لا نقف في طريق اقامة الشعائر الدينية لأية طائفة دينية.

«فرداً» لما يقوله البعض وما أكثرهم من أن أفراد الشعب الفلسطيني هم الذين باعوا أراضيهم وجواباً لما يقوله ويردده المستعمرون واذنابهم بحق الامة العربية أكتب هذه القصة ليعلم الجميع ما هو السبب الذي دفع ببعض الفلسطينيين لهجرة أراضيهم الغالية وكم هو العذاب الذي قاسوه. وليعلم المستعمرون وأذنابهم أن الأمة العربية تصبر على الضيم ولكن لا تقبله وأن الشعب العربي عامة والشعب الفلسطيني خاصة بين جنبيه الابطال الميامين الذين يضحون بكل شيء في سبيل خدمة امتهم العربية.

وأقولها صريحة للصهاينة وأعوانهم أن الشعب العربي ليس في حرب مع اليهودية ولا يحمل حقداً على يهود العالم فيوجد الكثير منهم لحد الآن في الوطن العربي ولكن هذا العداء مع الصهيونية العنصرية خليفة النازية وحثالتها على الأرض.

وفي الختام ارجو أن تتقبل عزيزي القارىء كتابي هذا كبداية في سبيل خدمة الامة العربية وأرجو السماح لنفسي بأن أطلب حكمك الصريح على باكورة انتاجي الأدبي وعسى ان يجد النزر اليسير من فراغك.

وأتمنى من الله تعالى أن يشد أزر المخلصين ويقوي سواعدهم في سبيل نصرة الحق انه سميع مجيب.

يونس علي حسين الشلهومي

الفصل الأول

التعارف

كان متجهاً الى الجامعة لكي يستلم نتيجة امتحانه الذي سبق وأن قدمه في (كلية الامبريال) بموضوع الهندسة الكهربائية لغرض الحصول على شهادة الماجستير بعد ان حاز على شهادة البكلوريوس بنفس الموضوع ومن نفس الكلية قبل سنتين . وكان قد قدم اطروحته قبل مدة طويلة وثم ناقشها مع استاذه المختص الذي اعجب بها كثيراً .

كان اسمه كمال عبد الجبار احمد من أهالي فلسطين وهذا ما كان يشغل باله عندما كان يسير الهوينى باتجاه الجامعة وأفكاره تجذبه يميناً وشمالاً كانه في بحر لجب وقد ترك نفسه تتقاذفها الأمواج انى شاءت وكان أهم ما يقلقه هو خدمة وطنه فلسطين انه على ثقة من نجاحه ومن حصوله على شهادة الماجستير في الهندسة الكهربائية وفى استطاعته اكمال دراسته للحصول على شهادة الدكتوراه .

ولكن هل سيكمل دراسته واين هو الآن الوطن الذي يريد خدمته انه بأيدي الصهاينة المغتصبين . ما زال سائرا وسط هذه اللجة من الافكار حتى وصل الى أبواب جامعة لندن .

دخل الجامعة وكله ثقة بالنجاح ورأى ثلاثة من أصحابه واقفين فاقترب منهم وحياهم تحية الصباح وسألهم عن نتائجهم فاجابوه بعد أن ردوا تحيته وكان جواب الاول نشطاً علم كمال انه ناجح اما الآخران فيبدو الحزن على وجهيهما وكل جوابهما

بطيئاً فتأسف لهما وهنأ الاول على نجاحه وعندما سألوه عـن نتيجته اخبرهم انه لم يستلم النتيجة وسار في رواق الجامعة الطويل حتى وصل الى قاعة كبيرة فطرق الباب ودخل بعد ان سمع صوتاً يأذن له بالدخول .

تقدم كمال من الرجل الجالس خلف مكتب فخم وبعد ان حياه سأله عن نتيجته . نظر الرجل الجالس الى ورقة أمامه بعد أن هز رأسه جواباً على تحية كمال وقال . ما اسمك ؟ رد عليه كمال قائلا اسمي كمال عبد الجبار احمد . بعد لحظة عثر الاستاذ على اسمه فقال له :

اني اهنئك باسمي وباسم الجامعة وباسم كليتك على نجاحك وعلى الدرجة العالية التي حصلت عليها ونتمنى لك ان تكمل دراستك في جامعتنا فاجابه كمال قائلا :

اني اشكرك واذا تحسنت اموري فسوف احاول اكمال دراستي الجامعية .

ونهض الرجل من مكانه وصافح كمال . وخرج كمال من عنده شاكرا ولكنه لم يشعر بالفرح ولا بالغبطة التي يحس بها اي متفوق مثله . وفي الرواق شاهد اصحابه الثلاثة السابقين فسألوه عن نتيجته متلهفين فاخـبرهم بها وهنؤوه فشكرهم وذهب فى طريقه .

اتجه كمال فى طريقه الى كلية الامبريال ليطلع استاذه البروفسور جون شارل على النتيجة وان كان يعلم بها استاذه مسبقاً فقد طلب منه الحضور الى غرفته فى القسم .

دخل على استاذه بعد ان طرق الباب فسمع صوت اســتاذه الجهوري يصيح ـ ادخل ـ وعندما شاهده نهض من خلف مكتبه وقـال ضاحكا استلمت نتيجتك مستر كمال .

اجابه كمال :

نعم حضرة البروفسور المحترم واني اشكر لك عطفك علي ومساعدتك من

صميم قلبي . فابتسم البروفسور وقال :

لا حاجة للشكر يا ابني انك ذكي وقد نلت ما تستحق بذكائك وليس بمساعدتي واني اهنئك .

فشكره كمال على ذلك وصافحة بمحبة واخوة .

وقال له استاذه :

اجلس مستر كمال هنا بجانبي .

جلس كمال في المكان الذي اشار اليه استاذه وكان لا يزال شارد البال مشتت التفكير وقد لاحظ عليه استاذه ذلك فقال له : مالي أراك شارداً يا كمال ؟

فاجابه كمال :

- بروفسور شارل - فقاطعه استاذه قائلا :

ارجو أن تترك لألقاب جانبا انك الان لست طالبي لقد تخرجت ولا أريد أن تذكرني بالألقاب اننا الآن اخوان . فقال كمال باسماً :

مستر جون لقد حصلت على الشهادة ولكن . . . .

فقاطعه استاذه :

لكن ماذا ؟ لقد أصبح لك مكان بارز بين اصحابك وكافة الشركات والمصانع بحاجة الى خبرتك كما أن طريق مواصلة دراستك مفتوح على مصراعيه امامك فلا يوجد مكان للكن .

مستر جون ماذا تفيدني هذه الشهادة انني أريد أن أخدم بلدي فلسطين وأين أذهب الآن وفلسطين بأيدي الصهاينة المغتصبين . انني استطيع في كل مكان ان أجد سبل العيش ان الطريق مفتوح أمامي ولكن وطني مفتوح سبيله لغيري .

كمال انك في خدمتك فى اي بلد في العالم تساعد على خير البشرية وهذا جزء

من خدمة الوطن . انني كما تعلم أؤمن بخدمة الانسانية ولكن وطني الغالي بحاجة الى أيد تقدم له الخبرة اللازمة والتقدم العلمي وقبل كل شيء التحرير .

اذهب الى احدى الدول العربية وقدم خدماتك وخبرتك او اذهب الى فلسطين وقدم هناك ما تستطيع تقديمه .

سوف أفكر في هذا ولكني في الوقت الحاضر لا أملك من النقود ما يبقيني اسبوعاً واحداً هنا .

اني مستعد بأن أجد لك عملا لمدة عدة أشهر كما اني على استعداد لتقديم المساعدة اللازمة لك ولكنني أعلم أنك لا تأخذ نقودا حتى من اعز اصدقائك .

اني اشكرك يا حضرة الاستاذ واني أجد في نفسي الطاقة للعمل كما انني أريد أن أمارس عملي هنا لأزيد من خبرتي لتوفر المجال اللازم لذلك .

سأتصل بأحد اصدقائي وهو يملك معملا كبيراً للادوات الكهربائية لتعمل في المصنع الذي يملكه المدة التي انت بحاجة اليها .

لشكرك أخلص الشكر .

لنلتقي مساء اليوم ونذهب اليه .

انني في غاية الاستعداد .

احضر الى شقتي في الساعة السادسة مساء لنذهب الى المصنع .

سوف أكون عندك في الوقت المحدد .

نهض كمال ومد يده مصافحاً استاذه شاكراً له فضله الكثير وخرج ممتلئاً نشاطاً ورغبة في العمل بالرغم من حزنه .

عاد في نفس الشارع يجر قدميه وقد أصبح عزمه أشد من الأول وخاصة عندما وصل الى قراره التالي (وهو ان يعمل عدة أشهر ومن ثم يذهب الى فلسطين المعمل

وهناك سيكافح حتى الرمق الاخير من حياته) . وعندما وصل الى هذا الحد من تفكيره تهللت أسارير وجهه وذهب الى شقته التي كانت لا تبعد كثيراً عن كليته

دخل الى شقته وبعد ان قذف بنفسه على السرير نهض وأخرج نقودا ثم بدأ بعدها فوجدها تكفيه لمدة اسبوعين حياة اعتيادية فاعادها وجلس . وبعد فترة وجيزة نهض ليتجول في شوارع لندن لكي يتخلص من افكاره الكثيرة . كان ينظر الى شوارع لندن النظيفة ويقول لنفسه هل يأتي يوم يشاهد فيه شوارع القدس نظيفة من الصهاينة كنظافة هذه الشوارع من الاقذار والاوساخ . وكانت الشوارع على ازدحامها تتراءى له خالية لأنشغال فكره واخذ يتصفح واجهات المخازن والمحلات التجارية الراقية ، دخل الى عدة مكتبات تصفح الكتب والمجلات وطالع عناوين الصحف البارزة فيها .

وعندما حل منتصف النهار دخل احد المطاعم البسيطة وطلب طعاماً رخيصاً وبعد ان تناول غداءه خرج متمهلا وهو يجر قدميه تحت افكاره المثقلة ويجوب الاماكن المختلفة .

وعندما كان يعبر احد الشوارع الكبيرة دون ان يلتفت الى طرفي الشارع كاد ان يدهس بسيارة صغيرة حمراء اللون وكان سائقها يقود بسرعة جنونية ولولا انه قفز في اللحظة الاخيرة لانتهت حياته يوم حصوله على شهادة الماجستير . ثم حمد ربه على سلامته والتفت الى السائق الذي جمد في مكانه . كان في نية كمال ان يوبخه توبيخاً شديداً على سرعته الجنونية واستهتاره ولكن أوقف كل ذلك نظرة منه الى وجه السائق الذي كان فتاة لها وجه لا يستطيع توبيخه ، ترجلت صاحبة السيارة من مكانها لتعتذر له . واصبح جل همه الآن هو تفحص قوامها وجسمها اللدن فقد كانت صاحبة قوام ممشوق وقد تناسق ووجه ملائكي وعينين خضراوين واسعتين تشعان

ذكاء وانف لا مثيل له باعتداله اما فمها فكان يمثل قمة الاغراء وشعرها الذهبي المسترسل على كتفيها كان يتطاير في الريح ويزيد جمالها روعة .

وقف كمال امامها تائهاً محتاراً وهي تعتذر له بكلمات رقيقة وبصوت موسيقي وهو لا يفقه شيئاً مما تقول وأخيراً قال لها :

لولا انني لم انذر نفسي لخدمة سامية اتركت نفسي اسقط صريعاً تحت عجلات سيارتك ولذهبت شهيد جمالك وحسنك .

قالت بصوت رقيق :

انني اعتذر لكوني مضطرة الى السرعة كما انك لم تتحرك كأنك شارد الذهن

أجابها ولا تزال نظراته تائهة حولها :

نعم اني كنت شارد البال ولكنك زدت شرودي بجمالك الفتان .

فابتسمت وقالت :

أرجو ان تقبل اعتذاري .

أجابها بسرعة :

انه مقبول قبل ان تقوليه بل اني شاكر لك هذه اللحظات الجميلة في حياتي المظلمة .

فقالت ضاحكة :

اسمي كلارا بيتمونت اتمنى معرفة اسمك .

اسمي كمال عبد الجبار .

قالت بدهشة .

عربي ؟

فرفع رأسه واجابها :

نعم عربي فلسطيني .

فالتفتت اليه والارتباك ظاهر على وجهها وقالت له :

انني جداً مسرعة أرجو السماح لي الى اللقاء اني آسفة .

وانطلقت بسيارتها مسرعة وقد تعجب كمال لحركاتها ولارتباكها الأخير ولكنه عزا ذلك الى الحادث .

ثم انه صعد الى رصيف الشارع وهو لا يزال ينظر الى سيارتها التي كانت قريبة الشبه بها لخفتها ورشاقتها وهو يتخيل نفسه في حلم الى ان ارتطم بأحد المارة الذي اخذ ينظر اليه متعجباً وحمد كمال ربه على ان الذي ارتطم به لم يكن سيارة ثانية .

سار في طريقه بعد ان اعتذر للشخص الذي ارتطم به وعـــاد الى شقته وترك نفسه يضطجع فوق سريره بدون ان يغيرملابسه واخذت تمر به خيالاته كانهاشريط سينمائي وذهب بأفكاره بعيداً الى القرية التي ولد فيها (دير ياســين) فى ضواحي مدينة القدس القرية التي اصبحت مناراً عربياً فى طريق المجد والتي اصبحت دليل عار في جبين الصهاينة . مر بخياله كيف نما ونشأ بين أقرانه من أطفال القرية وكيف كان يمرح بين الحقول وعمره ستة أعوام تذكر كيف دخل المدرسة فى السنة السابعة من عمره وكم كان فرحه عندما نجح في السنة الاولى بتفوق وسمع بصوت الخيال زغاريد والدته التي اطلقتها عندما اعلمها بنجاحه والان وهو يدخل شقته وقد حصل على شهادة عالية دون ان يوجد من يزعرد له ولا من يهنئه من اهله بالنجاح .

وانهمرت الدموع من عينيه عندما تذكر والدته ووالده واخوته وتذكر الفاجعة التي حلت بهم وبكل عربي فى شتى ارجاء العالم .

ففي يوم ١٩٤٨/٤/٩ م اليوم الذي يبقى رافعاً راية الثار مهما طال امد التحرير ، انه يوم المذبحة التي لم يذكر التاريخ مثيلها . انها مذبحة (دير ياسين) حيث باغت

٥٠٠ شخص صهيوني من عصابتي الارغون وشترن سكان قرية دير ياسين وهم آمنون وفتكوا بهم دون تمييز بين الشيوخ والنساء والاطفال وبعد ذلك عثلوا بجثث ضحاياهم الابرياء والقوا بهم في بئر القرية كانهم قذارات عفنة وكان عدد الضحايا يزيد على ٢٥٠ ضحية وقد مر بخياله ذلك اليوم الاسود المشؤوم الذي فقد فيه عائلته كلها .

وتذكر كيف كان جالساً في صحن الدار بعد ان صحا من نومه مع والدته وشقيقته في الصباح الباكر اذ كان في نية والده الذهاب الى مدينة القدس لجلب بعض الحاجيات الضرورية لذا نهضوا مع الفجر ليودعوا والدهم . وبينما هم يتناولون افطار الصباح سمعوا صوت الرصاص يلعلع في سكون الفجر فنهضوا متعجبين خائفين اذ لم يسبق ان حدث شيء من هذا القبيل في قريتهم الهادئة . خرج والده ليفتح الباب لمعرفة السبب ولكنه قبل ان يصل الى الباب دفع الباب دفعة قوية سقط على اثرها ارضاً وظهر على الباب شلة من الصهاينة لا يتجاوز عددهم العشرة اشخاص وكل منهم يحمل غدارة في يده وقد تمنطق بعدة قنابل يدوية فصاح بهم والده .

ماذا تريدون ايها المجرمون وما الذي جاء بكم الى قريتنا ؟

اجابه احدهم :

اتينا في زيارة ودية .

وأردف كلامه بصلية من غدارته جندلت والده ارضاً فركض كمال باتجاه والده وهو يبكي ويصيح : لقد قتلوا ابي .. ايها المجرمون سوف اقتلكم بيدي ..

وعندما شاهد كمال ان والده قد فارق الحياة هجم على الصهيوني الذي اردى والده قتيلا والذي كان لا يزال يقهقه عالياً صوت غليظ . كانت في يد كمال سكينة الفاكهة وقد اقترب منه بدون ان يحس الصهيوني بذلك وضربه بكل قوته في اسفل

بطنه وكان الصهاينة غافلين عن هذا العمل ولم يدر في خلدهم ان طفلا يعمل عملا كهذا اما كمال فقد سحب السكين بسرعه بعد ان احس بها قد غرست فى لحم طري وتدفق الدم على اثرها وأخذ الصهيوني يئن ويصيح بعد ان كان يقهقه فرحا . ارتاح كمال عندما شاهد الصهيوني يتألم وتمنى لو كان اكبر قليلا لانزل السكين في قلبه .

عاد الى افراد العصابة هدوءهم بعد ان زال الارتباك الذي احدثه كمال بهم . وركض أحدهم نحو كمال الذي ما زال واقفاً وقفة الاسد والسكين مرفوعة عالياً في يده ، وقف الصهيوني في مكانه وقد داخله الخوف للحظات من منظر كمال ثم رفع غدارته وادار فوهتها نحو كمال واطلق النار وفي تلك اللحظة هجمت والدة كمال نحو ابنها واحتظنته وقد استقبلت رصاص الغدارة بجسمها فسقطت فوق ابنها الذي احس بالخوف حين سقط تحت ثقل والدته .

انهض اثنان من الصهاينة صاحبهم الجريح الذي اخذ يصيح بهم طالباً اعطاءه غدارته التي سقطت من يده عندما وقع ارضاً . وقد تقدم احدهم وناوله اياها فرفعها بيد واحدة واخذ يطلق النار نحو كمال ووالدته فاحس كمال بثقل والدته يزداد فوقه فبقي هادئاً .

والتفت المجرم الصهيوني الى الطفلتين اللتين كانتا تصرخان رعباً وخوفاً وقد احتضنت احداهما الاخرى واصلاهما ناراً حامية من غدارته لكي يروي غليله بقتل الطفلتين البريئتين وشعر كمال بالالم يعتصر قلبه على اختيه لكنه سكن هادئاً ولم يبد حراكا . خرج الصهاينة وهم يحملون صاحبهم الجريح وقد ظنوا انهم ابادوا العائلة كلها .

بقي كمال فى مكانه بدون حراك واذناه تلتقطان اصوات الرصاص الذي كان يلعلع في مناطق مختلفة من انحاء القرية وعلم كمال انهم سيبيدون القرية عن بكرة

ابيها . ثم خرج من السياج الذي بنته والدته حوله بجسمها واخذ يبكيها بكاء أليماً. ولا زال يبكي الى ان شعر باصوات الصهاينة يعودون من بعيد فنهض راكضاً يبحث عن مكان يختبيء فيه منهم عند عودتهم شاهد قن الدجاج فدخلـــه بسرعة زاحفا وجلس وسطه . واخذ ينظر من وسط الثقوب الكـثيرة التي كانت موجودة فى القن فشاهد اربعة صهاينة دخلوا الدار وتوجهو نحو الجثث ورفعوها عن الارض واخرجوها ثم عادوا الى الداخل واخذوا يسرقون كل ما يرونه ثمينا او نافعا لهم .

وبعد ذلك ركبوا سيارتهم وانطلقوا بها وكمال لا يزال فى مكانه الى ان احس بابتعادهم فخرج ينظر حوله فلم يشاهد اي اثر لجثث عائلته وكان صوت اطلاق النار قد سكن فى كافة انحاء القرية وقد تعجب كمال من نقل الجثث واحتار عن الغـاية من ذلك اخرج رأسه من شق الدار وأخذ يتفحص الشارع الذي امامه فشاهده خاليا من اي اثر وعندما اطمأن الى خلو الشارع خرج ودخل راكضا الى دار جاره فلم ير في الدار سوى اثار الدماء فقط وكذلك كان الحال في دار جارهم الثـــاني والثالث . وأخذ كمال يتجول فى الدور الى ان وصل الى منتصف القرية وقد شاهد جلبة تبتعد عن القرية وعلم انها قافلة الصهاينة وقد تركوا القرية بعد ان نفذوا المهمة التي جاءوا من اجلها وقد محوا كل اثر للحياة فى القرية الهادئة المسالمة .

ولكن الذي حير كمال هو المكان الذي نقلوا اليه الجثث ظل سائرا الى ان وصل الى بئر القرية وعندما رفع نظره اليه جمد الدم في عروقه لهول المنظر الذي شاهده لقد رأى جثث سكان القرية مكدسة حول البئر وفي داخله وكان جلها جثث أطفـال بعمره ونساء وشيوخ فانهمرت الدموع من عينيه لهذه البشاعة ورفع رأسه عالياوقال : آلهي هل رفعت الرحمة من قلوب هؤلاء الصهاينة ؟

واخذ يبكي بصوت عال وقد داخله الرعب الشديد من الجثث فانطلق راكضا

خارج القرية وجلس في الطريق المؤدي اليها وهو خائف من دخولها وخائف من تركها ،بعد جلوس استمر ما يقارب الساعة شاهد سيارة عسكرية انكليزية قادمة نحوه .

وقفت امامه عندما رأوه وترجل أحدهم وقال بعربية ركيكة :

ماذا حل بقريتكم لقد اتعبنا الطريق ؟

أجابه كمال هازئا :

اني آسف لازعاجك لماذا جشمت نفسك هذا التعب .

صاح به الانكليزي :

ماذا حدث اخبرني بسرعة ؟

اجابه كمال بنفس اللهجة السابقة :

لم يحدث شيء يذكر فقط ابيد سكان القرية جميعهم وحل بها البؤس والدمار وأين كنتم ؟ وما هي مهمتكم ؟

فلم يحر الانكليزي جوابا وصعد الى سيارته وقد ترجل أحد الجنود من السيارة بعد أن رق لحال الطفل ورفعه ووضعه في السيارة التي انطلقت بهم نحو القرية وقادهم كمال الى البئر الذي اصبح مقبرة للجميع وقد اشمئزوا جميعا لبشاعة الجريمة ووحشيتها .

عادوا بعد ذلك وقد اصطحبوا كمال معهم وسلمه الجندي الذي جاء به الى احد جنود جيش الانقاذ العربي الذي شكل في ذلك الوقت لتحرير فلسطين بعد انسحاب بريطانيا منها .

وقد قص كمال قصته على الجندي العربي واصحابه الذين اخذوا يبكون بكاء الاطفال ووعدوه بالانتقام العاجل لكافة شهداء قرية دير ياسين الميامين .

وفي اليوم الثاني اخذه الجندي العربي الى قرية (المعدية) التي يقيم فيها عمه

والذي ما ان شاهده حتى ركض باتجاهه واحتضنه بحرارة واخذ يقبله ويبكي وقد كان يعتقد بعد الاخبار التي وصلتهم ان كافة أفراد العائلة قد ابيدوا . كان يقبله ويقول (لقد ابقاك الله سبحانه وتعالى عزاء لي بعد فقد اخي الحبيب) . ثم طلب من الجندي دخول الدار ولكنه اعتذر وذهب . عاد كمال مع عمه الى داره وقد دخل الى العائلة فشاهدهم بحزن وغم شديدين حيث خفف حزنهم رؤيته .

مضى على كمال ثلاثة أشهر في دار عمه حاول ان ينسى خلالها الحادث المؤلم وقد بذل عمه وعائلته جهدهم لكي يجعلوه ينسى الحادث .

فى أحد الأيام بينما كان جالسا امام الدار منهمكا باللعب مع أولاد عمه شاهدوا سيارة مقبلة وقفت امام دار عمه وترجل منها ستة اشخاص ما ان شاهدهم كمال حتى علم انهم صهاينة فنهض مسرعا ودخل الدار قبلهم راكضا وقد دخلوا خلفه .

نهض عمه عندما رآهم وصاح بهم ماذا تريدون ومن انتم ؟

أجابه رئيسهم ضاحكا :

اننا اصدقاء جئنا لزيارتك .

فصاح كمال قائلا لعمه .

انهم صهاينة خونة يا عمي .

فنظر اليه الصهاينة جميعا وقال رئيسهم لعمه . لماذا لم توافق على بيع دارك وقد دفعنا لك سعرا مغريا ؟ اجابه عمه بصوت حازم :

انني لا ابيع أرضي وداري مهما اعطيتوني من نقود ان أرضي أعز لدي من أموالكم الملطخة بدماء الابرياء .

أجابه الشخص نفسه :

الم تشاهد ما حل بجارك هل تريد أن يحل بك ما حل به ؟

وقد تذكر كمال كيف أن دار جارهم نسفت في الاسبوع الماضي بقنبلة وكيف تطايرت أشلاء أولاده في السماء وقد علموا في حينها ان هذا عمل الصهاينة وقد انكمش قلبه عندما فكر انه قد يحدث شيء من هذا القبيل لعائلة عمه . ولكن عمه كان مصراً على رفض البيع اصراراً شديداً وقد صاح بهم :

أيها المتوحشون هل تضنون انكم ترهبوننا بهذه التهديدات انكم على خطأ يجب ان تعلموا انه يوجد فلسطينيون مستعدون للتضحية بارواحهم قبل التضحية بأرضهم .

أجابه الصهيوني (لنرى مدى قوة تحملك) واشار الى أحد اصحابة فتقدم من عمه الذي بقي هادئاً ورفع الصهيوني غدارته وانزلها بقوة على وجه عمه وكانت ضربة قوية باخمص الغدارة الحديدي فانكفأ عمه على وجهه وتدفقت الدماء من بين أصابعه التي وضعها على وجهه ثم رفع يديه وبصق اثنين من اسنانه في وجه الصهيوني الذي استشاط غضباً وأخذ يرفسه ويركله بقدميه وصاح باثنين من اصحابه فجاءوا راكضين نحوه وانهالوا ضرباً بعمه الى ان سقط على الارض . اما كمال فانه لم يتحمل هول المنظر فاخذ يلتقط الحجارة ويقذف الصهاينة بها الى ان امسكته زوجة عمه مع ابنها الصغير واحتضنتهم باكية وهي تنهرهم خوفاً من قتلهم .

وبعد ان سقط عمه ارضاً ظن الصهاينة انهم اوصلوه الى شفا حفرة الموت تركوه وخرجوا وهم يصيحون سوف نعود غدا لكي توقع على صك التنازل والا اكرمناك اضعاف كرم اليوم .

وقد انهضه كمال بمساعدة زوجة عمه وابنها وارسلت زوجة عمه ابنها الى احد الجيران لجلب بعض الادوية المتوفرة لتضميد جروح والده واخذت تمسح الدماء

من وجهه ورأسه وهو بين الموت والحياة وبعد ان جلب ابنها الدواء ضمدت جراحه وكان جيرانه قد حضروا بعد ذهاب الصهاينة وقد أخذ بعضهم ينصح عمه بان يبيعهم الدار ويشترى غيرها فى مكان آخر قبل ان يقتلوه .

ولكن عمه أصر على رفض البيع وقال لهم .

ان غايتهم هي ان يجبرونا على ترك فلسطين لكي يخلو لهم الجو ولكن ليعلموا اننا سنصمد مهما كانت التضحيات .

وفى اليوم الثاني وبعد ان قضوا ليلة قاسية ذهب كمال فى الصباح الباكر لجلب سيارة ونقل أفراد العائلة مع أحد جيران عمه وعاد بسيارة كبيرة نقل فيها الاثاث الضرورية لعائلة عمه وركب مع زوجة عمه وأولادها وودعوا والدهم الذي قرر ان يلتحق بجيش الانقاذ العربي .

ولقد كان داعهم مؤلماً بعد ان بذلوا قصارى جهودهم لاقناع عمه بالحضور معهم الى الاردن حيث تعيش ابنة عمه وقد تزوجت موظفاً في عمان . وقد ارتمت زوجة عمه على قدمي زوجها طالبة اصطحابهم رحمة بأولادها لكنه أبى وأصر على القتال فودعوه بالبكاء .

ونزحوا الى الاردن .

ثم تذكر كيف انهم بعد ان ودعوا عمه بثلاثة أشهر جاءهم نعيه بعد ان كافح كفاح الابطال وجندل الكثير من الصهاينة قبل ان يسقط شهيداً في سبيل وطنه .

ثم مر بخياله كيف استمر فى دراسته الى ان اكمل الدراسة الاعدادية مع ابن عمه في الاردن وقد حصل على وظيفة قبل اكمال دراسته الجامعية اما هو فقد رغب في اكمال دراسته ولنجاحه الباهر فقد ارسل الى انكلترا لغرض الحصول على شهادة البكلوروس في الهندسة الكهربائية ولكنه بعد ان حصل على البكلوريوس رغب في

اكمال دراسته للحصول على الماجستير والدكتوراه ولولا شدة حنينه في الوقت الحاضر لفلسطين لحصل على الدكتوراه .

نظر الى ساعته فرأى ان موعده قد حان مع استاذه فنهض مسرعاً وغير ملابسه وانطلق راكضا .

وصل الى استاذه في الوقت المعين وكان هذا بانتظاره فخرجا سوية بسيارة استاذه .

توجه به استاذه الى منطقة (ساوث اند) حيث دخلا الى معمل كبير واسع لصناعة العدد والمواد والكهربائيه هو معمل (بيتمونت وشركاءه) فذهبا مباشرة الى غرفة المدير وطرقا الباب اجابهم صوت من الداخل يقول ادخل .

فتح استاذه الباب ودخل كمال خلفه . شاهد ثلاثة اشخاص علم ان احدهم المدير الذي نهض مسرعا ما ان شاهد الاستاذ . وصافحه بحرارة مرحباً به قائلا :

أهلا بالبروفسور العزيز لقد كنافي انتظارك انا ومساعداي ولم نخرج من المعمل.

أجابه البروفسور جون قائلا :

أهلا بك يا هربرت اعرفك بصديقي وتلميذي السابق السيد كمال عبد الجبار وقد حاز على شهادة الماجستير في الهندسه الكهربائية بتفوق ممتاز وهو يرغب في العمل لفترة قصيرة وجئت به اليك لتسلمه وظيفة تناسب شهادته .

تقدم المدير من كمال وصافحه بقوة وهو يتفحصه ويقول .

اسمى هربرت وليم مدير هذا المعمل وأرحب بك وأتمنى لك التوفيق بالعمل معنا .

أجابه كمال بفرح والابتسامة على شفتيه

اني اشكرك وأتمنى ان اكون موضع اخلاص وثقة بالعمل هنا .

قال له المدير بعد ان عرفه على مساعديه وعرفهم به وطلب من الجميع الجلوس

وقد جلس البروفسور بجانب كمال :

احضر غدا فى الصباح الباكر لاستلام عملك والمباشرة به

شكراً يا سيدي سأكون هنا قبل بدء الدوام .

ثم تحادثوا مع البروفسور لمدة نصف ساعة خرج الجميع بعدها وعاد كمال مع استاذه بعد ان ودعوا المدير ومساعديه شاكرين لهم فضلهم ومساعدتهم .

ذهب كمال مع استاذه الى احد الاندية الرياضية التي كانوا يذهبون اليها واخذوا يتمرنون ويلعبون الالعاب الرياضية المختلفة . عاد كمال الى شقته بعد مضي ثلاث ساعات مع استاذه في النادي الرياضي والتهما عشاء خفيفاً بأحد المطاعم .

توجه كمال الى فراشه مباشرة بعد ان غير ملابسه كي ينهض من نومه مبكراً .

نهض كمال من نومه كما اراد وانطلق الى المعمل بعد ان افطر وغير ملابسه .

دخل من باب المعمل الكبير مع الداخلين الكثيرين وتوجه الى المدير الذي ما ان شاهده حتى ضغط على أحد الأزرار الموضوعة أمامه وطلب سكرتيرته التي جاءت مسرعة فقال لها :

أعرفك بالمهندس الكهربائي الجديد لدينا اسمه كمال عبد الجبار أرجو ان ترشديه الى شعبه العدد الدقيقة . واكمل حديثه مخاطباً كمال أعرفك بسكرتيرتي الجميلة المس باتريشيا البرت فحياها كمال وتبعها بعد ان طلبت منه ذلك . قادته السكرتيرة بعد ذلك خارج غرفة المدير وأخذت تدور به أروقة المصنع كي ترشده الى محل عمله وكمال ينظر يميناً وشمالا ويتفحص المكائن الكبيرة الموجودة ومختلف الوجوه العاملة عليها .

وبينما هو يسير وينظر الى الجانبين لم يشعر بنفسه الا وهو يرتطم بفتاة كانت تمشي مسرعة فنظر كمال الى وجهها وقد جمد في مكانه لحظة واحدة وقال ضاحكا :

أرى اننا لا نلتقي الا بالاصطدام واني احمد ربي انك لست في سيارتك والا كانت النهاية .

فابتسمت الفتاة وقالت :

اني آسفة لكوني فى عجلة من أمري .

قال كمال وهو لا يزال يضحك :

هل تقضين كل ايام حياتك بعجلة من أمرك .

اني آسفة جداً وأرجو ان تقبل اعتذاري .

اني قبلت اعتذارك البارحة لمدى الحياة .

فابتسمت وقالت : مالي أراك هنا ؟

وكانت السكرتيرة لاتزال واقفة تنظر اليهما وهي تبتسم وقد أجابتها على سؤالها قائلة :

ان السيد كمال عبد الجبار عين مهندس كهربائي في المعمل يا مس كلارا واني ذاهبة لأرشاده الى مكانه في شعبة العدد الدقيقة .

قالت كلارا :

سوف أذهب أنا معه وأنت عودي الى المدير وقولي له ان كمال عبد الجبار سوف يعمل معي فى نفس الشعبة .

وأمسكت كمال من يده وقادته الى الشعبة المذكورة وهي تعرفه بكل من يلتقي بهم في الطريق حتى دخلت الشعبة وأخذت تدور مع كمال في كافة اقسامها وتعرفه على العاملين بها وتعرفهم به وكان كمال يشاهد احترام الجميع لها وتقديرهم الظاهر من كلامهم ونظراتهم . واخيراً قادته الى غرفة داخل الشعبة وفيها مكتبين وقالت له هذا مكتبك وأشارت الى المكتب الأول وكان يبدو فخما وهذا مكتبي وسوف نعمل

معاً لأدارة هذه الشعبة التي أمامنا . وطلبت منه الجلوس الى مكتبه فجلس وهويشعر ان الارض لا تسعه وقد ارتاح كثيراً مـــن جلوسه وبدأ يتفحص جمال كلارا ورشاقتها وانوثتها الجارفة . وأحتار بسر اهتمامه بها فلم يسبق ان اهتم بفتـاة كهذا الاهتمام بالرغم من تعرفه على الكثيرات .

وقد قضى نهاره الاول براحة ونشاط نسي فيه كافة همومه ومصائبه .

وفي نهاية الدوام طلبت منه كـلارا ان يصعد في سيارتها لتقله في طريقها فوافق بعد الحاحها .

وركب السيارة التي كادت ان تقضي عليه في اليوم السابق وقد سألها كمال عن كيفية قضاءها لباقي ساعات اليوم فقالت سأخرج من البيت بعد ساعتين انطلق بعدها الى احدى شلل الاصدقاء وليس لدي مكان محدد . فقال بعد لحظات من السكوت :

هل استطيع دعوتك للعشاء معي ؟

قالت ضاحكة :

اني موافقة . قال فرحا :

أين القاك ؟

في المكان الذي تختاره .

هذا منوط بك . سأكون في المكان الذي تشائين .

سوف أمر عليك في الساعة السابعة . اجابها :

(سأكون بانتظارك) وكانا قد وصـلا أمام العمارة التي يقطن فيها كمال فطلب منها الوقوف وترجل من سيارتها وهو يشكر لها فضلها ويقول سوف انتظرك هنا . فودعته على أمل اللقاء القريب وبقي ينظر الى سيارتها الى ان غابت مـن أمام عينيه فدخل شقته .

الفصل الثاني

بداية حب

قبل حلول الموعد بنصف ساعة كان كمال ينتظر في الشارع وعينه على كل سيارة حمراء اللون . وقد كان هذا الانتظار اقسى عليه وأمر من انتظار نتيجة امتحانه .

وفي الوقت المحدد تماماً حضرت اليه كلارا بسيارتها الصغيرة . كاد ان يقفز الى السيارة قبل وقوفها وقد فتحت له كلارا باب السيارة وهي باسمة الثغر وقد لبست ثوباً قصير الاكمام وقد زاد التصاقه بجسمها من بروز نهديها المرتفعين بأباء .

جلس كمال بجانبها بعد ان حياها فانطلقت بسيارتها مسرعة .

قالت له :

هل اخترت مكاناً مناسباً ؟

انطلقي الى المكان الذي تشائين فلم اختر مكان معين .

هل توافق على المكان الذي اختاره ؟

أجابها : نعم حتى لو كان الجنة وانطلق يضحك وشاركته هي بضحكاتها الرنانة وقالت :

كنت اظنك لا ترغب بالذهاب الى الجنة واخذت تضحك مجددا .

خرجت كلارا بسيارتها الى ضواحي لندن وبعد فترة وجيزة وقفت امام فندق يشمله الهدوء ترجلا من السيارة ودخلا من الباب الرئيسي للفندق وكمال مختار لا يعرف لماذا جاءت به الى هذا الفندق . وقد قادته كلارا معها الى باحة الفندق

وكانت ساحة خضراء هادئة فيها العدد الكثير من الموائد فاختارا مائدة معزولة وجلسا عليهـــا :

قالت كلارا جواباً على التساؤل الذي شاهدته في عينيه - اني دائماً احضر الى هذا الفندق عندما أكون في حاجة الى الراحة والهدوء انه مكان مثالي للراحة والهـــدوء .

ولكن هل يوجد في حياتك ما يعكر صفوها ويجعلك تطلبين الهدوء ؟

ألا تعلم أن الحياة الراكدة والرتيبة تثير الملل . ان حياتي كذلك لولا اجتماعنا بعض الاحيان بشلات مع بعض الاصدقاء لكرهنا الحياة اني بصورة عامـــة اكره النوادي وضجيجها .

اني أمل من النوادي الليلية ولم اترك في حياتي وقتاً أذهب فيه الى هذه النوادي ابداً . قال لها كمال ذلك .

فاجابته متسائلة : اذا لم تعثر على صديقة تجرك للنوادي ؟

اجابها : كنت أكره معاشرة الفتيات وحاولت ان ابتعد من طريقهن ما استطعت الى ذلك سبيلا .

فقالت وهي باسمة الثغر :

اذن لم تتمكن من الهرب من طريقي ؟

أجابهـــا :

بالعكس انك الفتاة الوحيدة الـــتي اثارت اهتمامي واشتقت الى حديثها واني لست أجاملك بهذا القول بل هو الحقيقة بعينها .

فغضت طرفها خجلا وقالت :

وكيف كنت تقضي اوقات فراغك ؟

أجابهـــا :

كنت مشتركا في النوادي الرياضية وقد حزت على جوائز في المصارعة والملاكمة وبعض الألعاب الأخرى كما اني كنت ولا أزال شديد الميل الى المطالعة فبعد أن أنهي دراستي اليومية أطالع مختلف الكتب واتتبع الانباء والحوادث العالمية .

كما اني كنت أدرس اللغة العبرية على بعض الاساتذة .

فارتبكت وقاطعته قائلة :

ولماذا تدرس اللغة العبرية ؟

قال لهـــا :

علني استطيع في أحد الأيام ان أخدم فلسطين بتعلمي لهذه اللغـــة وفي عزمي الذهاب الى هناك لأشارك البؤساء والمظلومين في الأرض الطاهرة والخاضعين رغماً عنهم لنير الحكم الجائر .

اذن في نيتك الذهاب من هنا ؟

أجابها على سؤالها بعزم يدل عليه كلامه .

انشاء الله سوف أذهب وأكافح لقد قضيت سبعة سنوات في لندن وأنا أعد نفسي لدخول الأرض المحتلة وهذا هو الأمل الذي جعلني انجح وأترك النوادي والملاهي ومعاشرة الحسان .

انك لا تعرفين قيمة الوطـن لأنك لم تفقدي وطنك ؟ ولكن اسألينا عـــن قيمة الوطن وعن حبه .

اجابته : من يعلم . قد أفقد وطني ولكن ما هي قصتك أريد أن أعلم شيئاً عن فلسطين أرجو ان تحدثني ببعض المعلومات وقصتك خاصة .

فابتدأ كمال يسرد عليها تاريخ حياته منذ ولادته لغاية اليوم الذي التقى فيه بها

والذي يعتبره أسعد أيام حياته .

وكانت كلارا تستمع الى حديثه وهي ساهمة ونظرها مسلط نحـــو الارض وشعرها يتطاير فى الريح .

بعد ان انهى حديثه سادهما صمت قصير قطعته كلارا بقولها :

انك وحيد ويصعب عليك ان تقدم عملا ملموساً لبلدك ومن الاحسن ان تبقى هنا وسوف أكلم والدي لكي يسند اليك ادارة المصنع ما ان تصبح لديك الخـبرة الكافية ان والدي يملك نصف أسهم هذا المعمل وهو يلبي كافة طلباتي وبذلك تستطيع ان تعيش راغد البال والعيش .

قال لها كمال :

اعيش راغد العيش صحيح اما راغد البال فهذا يستحيل اني منذ بلغت الثامنة من عمري وأملي الوحيد هو خدمـة بلدي فلسطين وان سعادتي هي في خدمة أرضي السليبة وليست في خدمة نفسي ومصالحي الشخصية كما اني لست وحيداً ان اطفال عام ١٩٤٨ اصبحوا الآن رجالا اشداء وان ابناء النكبة سوف يزيلون اثارها بسواعدهم القوية .

قـالت له :

هذا صعب جدا على اصحابك وعليك ان القدر الذي شـــاء ان يفرق شملكم سوف يعاند جمع هذا الشمل .

اجابهـــا :

ليس هذا ما شاء القدر ان هذا هو تخطيط دول الاستعمار كما انه من المؤكد ان المصائب والنكبات هي التي تخلق الرجال وقد خلقت نكبة ١٩٤٨ الرجال الاشداء والحق ذلك عدوان ١٩٥٦ الذي جاء تثبيتاً لتصميمهم على الكفاح حتى يوم

النصر وانه لقريب بعون الله تعالى .

اضافة الى ان الامة العربية قد نهضت الآن من سباتها العميق وهي تساند الشعب الفلسطيني في سبيل الحصول على ارضه وتعضد ساعده في كفاحه الطويل .

قالت كلارا :

ان الذي نشاهده هو ان اسرائيل اخذت تبني نفسها وتتطور حسب العلوم والتكنلوجيا الحديثة اما البلاد العربية فمتفرقة الكلمة والخلاف سائد بينها بصورة عامة وليست لديهم القدرة على الوحدة ابداً .

أجابها كمال بتأكيد وثقة :

ان الوحدة آتية وان شمل هذه الامة سيجمع ويرفع رايته عاليا لتحرير كل شبر من الاراضي السليبة ومن المناطق المستعمرة . وان امتنا العربية التي كانت حجر الاساس في تقدم وحضارة البشرية سوف تعيد مجدها التليد في القريب العاجل .

قالت كلارا :

ان استمرت الحكومات العربية في طريقها الحالي فلن تكون هناك وحدة عربية ابداً .

اجابها كمال قائلا :

ان الذي يحكم ويقرر هو الشعب العربي بصورة عامة ولكن توجد بعض العقبات تقف في طريقه في الوقت الحاضر وسوف يتمكن هذا الشعب الجبار من تحطيم كل من يقف في طريق وحدته .

وسكت الاثنان لفترة وجيزة قالت كلارا بعدها .

لنغير موضوع الحديث نريد ان نلهو قليلا ان الايام ماضية فلنأخذ منها ما نستطيعه . واني الآن قد شعرت بالجوع فنهض كمال وصاح بالنادل الذي اقبل مسرعاً ولكن

كلارا قالت له لندخل ال قاعه الطعام لتغير الجو ونأكل في الداخل فوافقها على ذلك وصرف النادل ثم ذهب الى غرفة الطعام وكانت خاصة برواد الفندق وقد جلس الاثنان الى مائدة قريبة شغرت حين دخولهما وطلبا الطعام وبعد ان انهيا عشائهما غادرا الفندق وانطلقا الى احد الاندية التي كانت تتردد عليها كلارا في بعض الاحيان ثم رقصا مع الراقصين وكل منهما يفكر في واد ويحاول جهده ان يسعد حاضره وينسى همومه .

وبعد ان تعبا من كثرة الرقص جلسا وطلبا شرابا منعشاً . وقد قضيا ساعات نهاية منتصف الليل بحبور وسعادة . عادا بعدها وقد اقلته كلارا الى العماره التي يقطن بها وانطلقت بعد ان صاحت باعلى صوتها . الى اللقاء فى الصباح انتظرني هنا .

ولم يزل واقفاً حتى غابت اضواء سيارتها عن عينيه ، وذلف بعد ذلك الى باب العمارة ومنها صعد الى شقته والقى بنفسه على السرير واخذ يتذكر كيف قضى هذا اليوم سعيداً وقد ندم على انه لم يتعرف على كلارا عند اول حضوره الى لندن ولكنه حمد الله على ذلك . اذ انه لو ألتقى بها في أول حضوره لانسته كل شيء ولما استطاع تعلم اللغة العبرية ولا تمكن من اتقان الالعاب الرياضية التي يفتخر بها ولكان قضى هذه السنوات كاصحابه واخوانه العرب .

في الصباح الباكر كان واقفاً امام العمارة نشطاً مرحاً ينتظر حضور كلارا وفيما هو سارح في بحر خياله لم يشعر الا وصوت كلارا يرتفع عالياً : صباح الخير مستر كمال . فانتفض من شروده واجابها صباح الخير اسف لشرودي فقد سرحت افكاري بسهرة البارحة واني لاشكرك غاية الشكر ، ثم فتح باب السيارة وجلس بجانبها وانسابت السيارة بهما بهدوء متجهة الى المعمل فى منطقة (ساوث اند) .

اوقفت سيارتها في المكان المخصص وترجلت مع كمال وامسكت بيده وقادته

الى داخل المعمل . وكان الناظر اليهما يظن ان الصداقة التي تربطهما مرت عليها السنين الطوال ولا يصدق انها صداقة يومين فقط وبعد ان دارا دورة صغيرة فى الاقسام وحيا العاملين فيها عادا الى محل عملهما وانكب كل منهما على عمله بجد ونشاط وعزم لا يكل وكان لا يوقفهما شيء عن العمل سوى بعض النظرات التي يتبادلانها في لحظات خاطفة والابتسامات الرقيقة التي تعقب كل نظرة من نظراتهما. وهكذا دامت العلاقة بينهما مدة شهرين يقضيان النهار فى المصنع وسط الابتسامات العاطفية .

تقله الى شقته فى نهاية الدوام وتأتيه في الصباح الباكر لتقله الى المصنع فقد كانت العمارة التي يقطنها تقع على طريقها . اما بعد نهاية الدوام فقد كانا يلتقيان يومياً فى (هايد بارك) سوى أيام عطلة نهاية الاسبوع التي يقضيانها فى سهرة طويلة فى احد الاندية التي يقع اختيارهما عليه

وابتدأ يشعر بقلبه يخفق بشدة عندما يشاهد كلارا وعلم انه سيقع صريع غرامها ان لم يقع لحد الآن .

ولكنه كان قد قرر قبل اليوم ان لا يقع بالحب واعتبر ان حبه لفلسطين يعوضه عن أي حب آخر .

واحتار ماذا يعمل انه لا يستطيع الابتعاد عنها وهذا معناه ترك العمل وقطع مورد رزقه وقد بدأ فى الاونة الاخيرة يدخر بعض ما يزيد من راتبه الاسبوعي ولكنه لم يجمع ربع المبلغ المطلوب منه اذ ان السهرات الاسبوعية كانت ترهق ميزانيته القليلة ولكنها في نفس الوقت كانت راحته الوحيدة التي يستطيع ان ينسى العالم الخارجي خلالها

فقرر ان يقلل من نفقته على سهرات عطلة نهاية الاسبوع .

ولكن كيف العمل لتحقيق ذلك انه لا يستطيع ان يجعلها تدفع لانسه عربي والعادات العربية الاصيلة لا تزال مستحكمة فيه .

وفي نهاية الاسبوع قال لها :

لقد دعاني استاذي جون لقضاء عطلة نهاية الاسبوع فارجو المعذرة .

اجابته :

لماذا تفسد علينا هذه اللحظات السعيدة وانت تعلم مبلغ اشتياقنا الى هذه العطلة التي نعد ايام الاسبوع انتظارا لها .

قـــال :

لقد اضطررت الى ذلك وارجو المعذرة والى الاسبوع القادم ثم تركها وذهب الى دار استاذه ولم يكن على موعد سابق معه وقد امضى معه ساعتين يتداولان الاحاديث المختلفة ويحللان المشاكل الموجودة ويبديان اراءهما فيها . نهض بعد ذلك وودع استاذه وانصرف بائساً وقد ندم اشد الندم على عدم ذهابه مع كلارا . قضى هذه العطلة كاتعس عطلة مر بها منذ ان التحق بالعمل مع كلارا وابتدأ يعد الساعات لحلول نهاية العطلة وحاول قضاء ساعاتها الطوال في المطالعة ولكنه كان يشعر بملل من الكتاب وقد تأكد انه يحب كلارا حباً قوياً جارفاً واحس بخطر هذا الحب ولكن هذا الخطر يصعب على قلبه مقاومته ولقد سيطر عليه وشل تفكيره عن العمل سوى التفكير بها وكيف قضت عطلة نهاية الاسبوع ومع من قضتها وابتدأت نار الغيرة تنهش قلبه بشدة .

وفي اليوم الاول من الاسبوع الثاني كان ينتظرها بشوق لم يكن يتصور انه يكنه لفرد ليس في بريطانيا كلها بل في العالم كله . وكل لحظة ينظر الى الساعة وقد حل الموعد الذي تحضر به يومياً ولكنها لم تحضر واخذ يتقلى على احر من الجمر وقد

احتار بعدم حضورها ولا يعلم هل غضبت منه ام انها قد تعرضت لحادث ما .

ولم يبقى على بدء الدوام اكثر من عشرة دقائق والمسافة تبعد ما يقارب الخمسة عشر دقيقة بينه وبين المصنع فاوقف سيارة للاجرة وانطلق بها بسرعة لكي يصل الى المعمل في الدوام المحدد وقد وصل في لحظة بدأ الدوام .

دخل مسرعاً الى مكتب عمله مع كلارا عسى ان يشاهدها ولكنه لم يجدها فخرج يسأل عنها ولكنه لم يتلقى جواباً على سؤاله وكل من يسأله يجيبه بالجهل التام .

احتار كثيرا وهو لا يعلم عنوان مسكنها ولا رقم هاتفها .

وبينما هو يسأل يميناً وشمالا حضرت كلارا وقد مضى على بدأ الدوام مايقارب النصف ساعة . فجاء اليها مسرعاً واخذ يتفحصها قبل ان يتكلم وقد شاهد عينيها محمرتين من كثرة السهر فتقدم منها وسألها قائلا :

لماذا تأخرت لقد قلقت بسببك كثيراً .

نظرت اليه بعينيها الحمراوين وأجابته :

لقد سهرت البارحة مع شلة من الاصدقاء الى ساعة متأخرة من الليل وعندما نهضت اليوم من النوم احست بصداع اخرني عن الحضور واني آسفة لعدم تمكني الاتصال بك وعدم حضوري اليك .

اجابها :

لقد قلقت عليك قلقاً شديدحتى اني لم ابدأ العمل لحد الآن وسألت عنك الجميع ولكم لم اتلقى الجواب من أحد منهم .

وفي نهايه الدوام نقلته معها امام العمارة التي يسكن فيها وودعها على أمل اللقاء في السابعة في حديقة (هايد بارك) .

وفي الساعة السادسة والنصف كان جالساً في حديقة هايد بارك بانتظار حضور كلارا وقد حضرت في الساعة السابعة تماماً . اخذا يتجولان في الحديقة وهي تحدثه عن نزهتها مع الشلة وطلبت منه الحضور معها للذهاب مع الشلة في نهاية الاسبوع فوافقها على ذلك وهكذا قضيا الاسبوع وهما بشوق الى نهاية الاسبوع للتمتع بالعطلة .

وفي اليوم الاول من العطلة انطلق مع كلارا الى النادي الذي تجتمع فيه الشلة وقد حملو معهم في سيارة كلارا ما يحتاجانه من حاجيات وكانت الشلة قد اجتمعت في النادي وهم بانتظار حضور كلارا وحين حضرت حياها الجميع وانطلقوا يركضون كل باتجاه سيارته وكانت معهم سيارة خاصة محملة بالخيم والاكل والشراب .

تحركت الشلة في الصباح الباكر خارج مدينة لندن وسارت بهم السيارات مدة ساعة كاملة وهم يدخلون في طرق لم يشاهدها كمال قبل اليوم وقد تفوقفت السيارات في مكان معزول وخالي من السكان وكان على شكل بقعة خضراء في وسطها نبع ماء صاف .

قفز الجميع من السيارات واخذوا يتناهبون الخيم الصغيرة من السيارة ، أخذ كمال احدى هذه الخيم ونصبها في مكان جانبي وقريب من النبع . وبعد ان تم نصب الخيم وانهي الجميع عملهم تقدمت فرقة الشلة واخذت تعزف الموسيقى الراقصة وانطلق الجميع يتخاصرون ويرقصون وقد احتضن كمال كلارا بين ذراعيه وأخذ يرقص مع الراقصين وقد غابا عن الكون وما فيه .

استمروا في هرج ومرج حتى كلوا من شدة التعب وانطرحوا ارضاً . نهض فريق منهم اكثرهم من الفتيات اخذوا يعدون الاكل وبعد فترة وجيزة اصبح الطعام جاهزا فانطلق كل منهم يحمل صحناً في يده كي يملأه وينعزل به جانباً ليأكل

بهدوء . اما كمال فقد اختار صحنا كبيراً ملأه لكليهما ثم توجها الى نبع العين وجلسا يأكلان .

بعد ان انهى الجميع طعامهم اخذوا يحتسون ما جلبوه معهم من الشراب . وبينما هو سائراً مع كلارا صادفهم ثلاثه من الشبان وراى ان كلارا تحاول ان تتجنبهم ولكن أحدهم صاح باصحابه قائلا :

هذه كلارا تحاول ان تتجنبنا للمرة الثالثة ايها الاصدقاء لنذهب اليها .

وجاؤوا اليهما مهرولين وقد استوقفوها مع كمال وقال لها أحدهم :

لماذا تتجنبينا يا كلارا هل غضبت منا ام انك لا ترغبين ان نتعرف على صديقك ؟

فارتبكت كلارا واجابتهم قائلة .

اني آسفة لم اشاهدكم ولم يكن في نيتي ان اتجنبكم .

وقد أخذ كمال ينظر الى وجوههم ويتفحصها وهو في قرارة نفسه غير مرتاح لرؤيتهم وأردفت كلارا قائلة .

اعرفكم على صديقي في العمل السيد كمال عبد الجبار . .

وقد صاح الثلاثة بصوت واحد قبل ان تكمل كلارا كلامها :

عربي ؟ ؟

اجابهم كمال وهو ينظر اليهم شزرا :

نعم عربي فلسطيني ما الغرابة في ذلك ارى وجوهكم قد اصفرت ؟

والتفت اطولهم قامة الى كلارا وصاح بها بغضب شديد .

اصبحت تصادقين الفلسطينيين وتدعين صداقتنا ايتها الوقحة وتأتين بهم معنا في نفس الشلة لماذا جلبت هذا العربي القذر معنا ؟

فصاح به كمال غضباً وقد اسودت الدنيا في عينيه :

ما بالك يا صاح اضبط لسانك هل جننت أرى انك صهيوني قذر لو كنت أعلم بوجود صهاينة انذال فى هذه ا شلة لما حضرت .

واقترب منه بسرعة البرق ولطمه على وجهه لطمة جعلته يدور حول نفسه ويسقط ارضاً وصاح كمال (هذه لفلسطين) وقبل ان يدرك صاحباه حقيقة ما يجري وقد ارتبك عليهم الامر كان كمال قد انهض الصهيوني من الارض ولطمه لطمة اخرى وهو يقول (وهذه لكلارا) سقط على اثرها الصهيوني فاقد الوعي فلما شاهد صاحباه ما حل برفيقهم هجموا على كمال دفعة واحدة فتلقى اولهم بلكمة فى وجهه جعلته يرسم قوسا نصف دائري الى الخلف وامسك بتلابيب الاخر ورفعه عن الارض والقاه على صاحبه الاول واخذ يركلهم بقدميه في مختلف انحاء اجسادهم وقد نسي نفسه وماحوله وكانت كلارا قد ركضت نحوه وهي تصيح به طالبة العفو عنهم ولكنه لم يزل يضربهم الى ان كلت يداه وقدماه وقد ادمى وجوههم واصبحو لا يرون طريقهم .

امسكت كلارا يده وقالت له .

اترك هؤلاء الانذال انهم لا يستحقون ان تضربهم بيديك العزيزتين وهم أقذر من ان يسيئوا اليك اني قد تجنبتهم خوفاً من صدامك معهم ولكنهم لحقونا راكضين وقد نالوا جزائهم .

اجابهـا :

عزيزتي كلارا ان هؤلاء الصهاينة يتصورون انهم اسود يخيفون الفلسطينيين وقد اثبت لهم ان الفلسطيني قادر على حمايه نفسه وعلى رد كيدهم وانهم ليسو أهلا لمقاتلة الفلسطينيين وجهاً لوجه وانه لولا الخيانة والغدر والخديعة لما استطاعوا ان

يحصلوا على شبر واحد من أرض فلسطين الحبيبة .

قالت كلارا :

عزيزي كمال أرجو ان تنسى الموضوع اننا مع شلة للمسرح اما هؤلاء الصهاينة فانهم سيهربون حالا .

اجابهـــا :

انهم لو وقفوا في طريقي مرة اخرى وتعرضوا لك بسوء فسوف احرمهم مـن الحياة مهما كانت النتائج .

انطلقا بعد ذلك راكضين فى الحقول الخضر وسط رفاق الشلة وقد نسيا الحادث الذي تعرضا له وفي عصر نفس اليوم بينما كان يتسابق راكضاً مع كلارا اقبلت نحوهما سيارة منطلقة بسرعة جنونية فانتبه كمال لذلك وأوقف كلارا وقبل ان تصلهم السيارة بلحظات حمل كلارا وقفز جانباً وقد اشتبه في السيارة المسرعة التي انعطفت نحوهم مسرعة مرة ثانية فاراد ان يقفز مع كلارا جانباً ولكن كلارا سبقته وركضت باتجاه السيارة ووقفت امامها وهي تصرخ وتصيح باعلى صوتها :

قفوا ايها المجرمون ماذا تريدون منا ؟

فوقفت السيارة بجانبها وترجل منها خمسه أشخاص كان من بينهم اليهود الذين ضربهم كمال في صباح اليوم نفسه وقد جلبوا معهم شقيين عملاقين تقـدم الخمسة من كلارا وصاحا بها (اذهبي جانباً) . فتقدم منهم كمال وهو متأهب للقتال وامسك بيد كلارا وجرها جانباً وقال لها اهدئي واجلسي جانباً وسـوف ترين ما يحل بهؤلاء المجرمين . وصاح بهم :

من الاحسن لكم ان تركبوا سيارتكم وتعودوا الى اوكاركم القذرة قبل ان يفور دمي والقنكم درسا قاسياً لا تنسوه مدى الحياة .

ضحك الجميع بصوت عال وقال اضخمهم جسماً لكمال .

تقدم ايها الطفل لنريك كيف تلقننا درساً لا ننساه .

فتقدم كمال الى الامام وهو على أهبة الاستعداد لكل حادث قد يطرأ وفي تلك اللحظة قفز العملاق الضخم امامه ورفع يده عالياً وانزلها بقوة على كتف كمال ولكن الاخير كان مستعداً لهذه الحركة فمال عنها جانباً فذهبت ضربته سدى وفي تلك اللحظة ارسل كمال قبضته بقوة خارقة الى بطن العملاق الذي أن من شدة الضربة اتبعها كمال باخرى بحد كفه على رقبته جعلته يتلوي ارضاً .

وما ان شاهد اصحاب العملاق ما حل ببطلهم هجموا دفعة واحدة نحو كمال الذي قفز قفزة في الهواء وأرسل قدميه في وجه اثنين منهم تدحرجا ارضا من قسوة الضربة وكانت هذه القفزة تكفيهم للدلالة على انه مصارع ممتاز ولكنهم لشدة غضبهم نسوا ذلك واستمروا يحاولون النيل منه ولكنه كان يجول في وسطهم كانه اسد حبيس وهو يجندل كل من تصل يده اليه واصبحت ضرباته القاسية تخيفهم وتجعلهم يبتعدون كلما يحاول ان يقترب من احدهم ولكن صاحبهم الثاني الذي جلبوه معهم أراد ان يجرب حظه مع كمال وتقدم رافعاً قبضتيه على هيئة ملاكم جبار وكان منظره مخيفاً ولكن هذا لم يرهب كمال الذي استقبله بعزم لا يلين وقبل ان يصل اليه ارسل قدمه بضربة قوية الى ساق الصهيوني احس على اثرها بساق الصهيوني اصبحت قطعتين وتدفق الدم غزيراً من اسفل ركبته وقد سقط ارضاً وهو يئن ويصيح (كسرت ساقي كسرت ساقي) فتقدم منه اصحابه وهم ينظرون الى كمال برعب وخوف وحملوا صاحب الساق المكسورة والاخر الذي اغمى عليه على اثر ضربة تلقاها من كمال بحد كفه .

كانت كلارا تراقب المعركة التي دارت رحاها وهي باسمة الثغر بعد ان كانت

في رعب شديد خوفا من ان ينالوا من كمال ولكنها عندما شاهدت العمل الذي قام به اصبحت لا تخفاف عليه ولكنها في النهاية رأفت بحال الصهاينة وتقدمت من كمال وامسكت بيده وطلبت منه ان يتركهم وشأنهم واخذت تتوسل اليه حتى اطاعها ونظر الى الصهاينة الذين ركضوا نحو سيارتهم وهم غير مصدقين انهم نجوا بجلودهم من قبضة كمال .

اما كمال فقد عاد مع كلارا الى باقي افراد الشلة الذين لم يعلموا بما جرى وقد طلبت منه كلارا عدم اخبارهم بالحادث وان يتناساه فقال لها ضاحكا .

اني اتناساه ولكني اعتقد انهم سوف لا ينسون هذا الحادث مدى الحياة وانهم سيعيدون الكرة واتمنى ان يكون ذلك في حضورك كي لا تشفعي لهم .

وبعد فترة قصيرة من السكوت قال كمال .

انني لم اندم لقضاء هذه السنوات في التدريب على القتال بمختلف انواعه فقد فكرت بيوم كهذا ولكن من دونك .

اندمجا بافراد الشلة واخذا يلهوان ويرقصان متخاصرين وابتدأ رفاق الشلة ينظمون الالعاب المسلية و د شاركهم كمال بذلك مع كلارا وقضيا ذلك اليوم حتى ساعة متأخرة من الليل وهما في مرح وابتهاج ثم انطرحا من شدة التعب وناما ويداهما متماسكتان ولم ينهضا من النوم حتى قاربت الساعة العاشرة صباحاً

انطلق الجميع بعد ذلك يجوبون الحقول على شكل جماعات ومن ضمنهم كمال وكلارا وقد اصرت على عدم ترك الجماعة خوفاً من مصادفة اخرى كاليوم السابق . قضى الجميع هذا اليوم كسابقه بحبور وسرور شديدين ولم يتعرض الجميع لأي حادث وعادوا ببهجة ومرح .

اما كلارا وكمال فقد كانا جداً سعيدين ونسيا الحوادث التي مرت بهما .

وحين ودعته كلارا امام باب العمارة نظر فى عينيها طويلا وقال لها .

اني اشكرك على هذه النزهة الجميلة .

هل سعدت بها يا عزيزي ؟ سألته كلارا فاجابها قائلا :

جدا جدا يا عزيزتي اني اكرر شكري لك .

كانت تكون اسعد واجمل لولا مصادفة اولئك الصهاينة .

عزيزتي كلارا ان حادثة اولئك القذرين قد زادت من جمال النزهة فقد ذكرتني بفلسطين التي غابت عن بال لحظات كما اعطيت درساً لهم كي لا يحاولوا ان يعتدوا على فلسطيني ولا عربي بعد اليوم .

ثم قالت له . الى اللقاء صباح الغد والآن اذهب الى فراشك تصبح على خير .

فودعها وانطلقت بسيارتها وهو ينظر اليها . دخل بعد ان غابت عن عينيه وبعد ان غير ملابسه تمدد في فراشه وغاب فى سبات عميق لم يصح منه حتى الساعة السابعة صباحاً . نهض متكاسلا من النوم ثم تناول افطاره وبعد ذلك غير ملابسه وخرج في انتظار كلارا التي حضرت في الموعد المعين وفتحت له باب السيارة فجلس بجانبها وقد شاهد احمرار عينيها شديداً فقال لها :

صباح الخير مالي ارى عينيك حمراوين ؟ فاجابته قائلة : بعد ان عدت الى البيت اصبت بارق شديد حتى ساعة متأخرة من الليل ونهضت باكرا .

ارى انك قد بكيت اريد ان اعلم السبب ؟ فسكتت كلارا لحظات ثم قالت كيف علمت باني بكيت ؟

هذا ظاهر في عينيك واقول لك اني لا احب البكاء ولا الباكين ولا اريد أن يبكي بسببي اي شخص وخاصة انت .

اجابته :

عزيزي كمال لقد تألمت كثيراً لان حادثة اليوم السابق كانت بسببي ولذا شعرت بمسؤوليتي وتألمت لما اصابك وان كان قليلا .

لقد طلبت مني ان انسى الموضوع ولكنك انت لم تنسيه لماذا ؟

اني اعدك بان انسى الموضوع وان لا أبكي بعد اليوم مهما حدث هل ترضى بذلك ؟

أجابها بعد أن أخذ يدها بين يديه وقبلها بشوق قائلا .

ان هذه امنيتي بالنسبة للمرأة التي تساعد على الكفاح ومقارعة مصائب القدر .

عزيزي كمال اني أريد أن أقول لك اني .. اني .. وارتبكت واحمر وجهها خجلا فاحتار كمال في تفسير هذه الظاهرة وعلم ما تريد ان تقول ولكنه تجاهل ذلك لكي يسمعه من شفتيها فقال لها :

ماذا تقولين يا عزيزتي لماذا أمسكت عن الكلام أرجو الافصاح ؟

فازداد ارتباك كلارا وضغطت على فرامل السيارة فاوقفتها ونظرت فى عيني كمال وقالت له .

لماذا تتجاهل معرفتك بما سأقوله اني يا عزيزي سأقوله رغم خجلي اني تأكدت بعد حادثة البارحة انني .. .. انني .. .. احبك أجاب . بهدوء وهو يتأملها :

هل تحبينني يا كلارا ؟ فاجابته بصوت يعبر عن ثقة : نعم .. نعم احبك .

فاحاطها كمال بذراعيه واحتظنها بقوة ؟ وقال بصوت متقطع .

انني كذلك احبك يا عزيزتي ولقد حاولت أن اسيطر على حبي وأن لا أقول ذلك لك ولكنك اجبرتيني على قوله . نعم احبك . ثم التقت شفتاهما بقبلة اودعا فيها كل اشواقهما وحنينهما ولم يشعرا بمضي الوقت وبدء الدوام ولم ينتبها لذلك حتى جاوزت الساعة الثامنة بدقائق قليلة وعندما شعرا بذلك اعتدلا فى جلستهما

واطلقا لسيارتهما العنان لتمشي بأقصى سرعتها ودخلا الى المصنع مسرعين . ذهبا الى محل عملهما ولا تكاد الدنيا كلها تسع فرحتهما وأخذ كمال يحدث نفسه ويقول كيف العلاج الان وهو يحب كلارا وهي تحبه وكيف السبيل للتوفيق بين حب فلسطين وحب كلارا انه يريد ان يركز كل جهوده في سبيل القضية ولكن هذا الحب سوف يمنعه من تحقيق الكثير مما يرغب لبلده السليب .

وهكذا قضى ساعات العمل بهذه الافكار وهو يحاول ان يجد العلاج اللازم لمشكلته المعقدة . وكان ينسى كل مشاكله عندما تلتقي عيناهما ويتبادلان الابتسامة الخفيفة .

كالعادة نقلته بسيارتها الى باب العمارة التي يسكن فيها وودعته على أمل اللقاء بعد ساعتين امام المدخل دخل هو الى شقته والقى بنفسه فوق السرير وتاه وسط بحر من الافكار تتقاذفه الامواج يميناً وشمالا لقد كان فرحاً بهذا الحب ولكنه لم يكن في اوانه كما انه قد قرر قبل اليوم بأن لا يقع في غرام أية فتاة وان يحافظ على طهارة حبه لفلسطين ولا يمتزج معه اي حب آخر ولكن شاء له القدر ان يلتقي بكلارا التي لا يستطيع اي شخص مهما كان يملك من قسوة القلب ومن كره الجنس اللطيف من عدم محبتها والوقوع صريع هواها .

انه الآن يعلم انه قد وصل الى مفترق طريقين احدهما طريق السعادة الشخصية ومصلحة قلبه وذلك بالزواج من كلارا واستلام ادارة المصنع معها وبذلك يعيش مرفهاً ومنعماً بالحب والخيرات الى اخر أيام حياته .

اما الطريق الثاني فهو طريق التضحية والفداء في سبيل الوطن وعليه بذلك الكفاح في سبيل تحرير فلسطين وان يقدم حياته وجهوده لارضه السليبة وان يضحي باعز شيء لديه الا وهو كلارا ولقد احتار اي الطريقين يسلك هل طريق مصلحته

الشخصية ام طريق مصلحة بلاده وشعبه المشرد وفي النهاية قرر ان يسلك الطريق الثاني وان يضحي بحبه وسعادته الشخصية في سبيل فلسطين وقد كانت التضحية كبيرة لديه ولكن فلسطين اغلى وأعز من كل حب وكل غرام وكل شيء في الوجود ان الحرية اثمن من كل شيء .

ولهذا يقع على عاتقه وعاتق كل فلسطيني وكل عربي ان يقدم كل شيء في سبيل الارض السليبة وفي سبيل البقاع المستعمرة من الارض العربية

مر به الوقت بدون ان يشعر ولم يزل تائهاً وسط لجة من الافكار حتى شعر بيدي كلارا الجميلتين توضعان فوق عينيه وصوتها الموسيقي يهز قلبه وهي تقول . عزيزي كمال اراك تائها وسط الافكار ما الذي تفكر به ولماذا لم تغير ملابسك لحد الان .

نهض كمال وقد أمسك بيديها وقال لها . حبيبتي كلارا كيف لا يتيه من يقع في حبـــك .

قالت (اذن كان سبب انشغال فكرك هو حبنا) .

اجابها قائلا : نعم ان حبنا هو ما أفكر به .

قالت : وماذا كانت نتيجة غوصك في بحر الافكار ؟

اجابها قائلا . لا اعلم .

قالت : وكيف لا تعلم وقد غصت وعدت الينا ؟

اجابها : الشيء الوحيد الذي اعلمه هو انني احبك ولا أعلم نهاية هذا الحب ؟

قالت لننهل من حبنا ما نستطيع قبل ان نندم على هذه الأيام ولنترك كل شيء للقدر الذي جمعنا .

وما ان انهت كلامها حتى قذفت بنفسها بين ذراعيه واخذت تقبله بحب جارف ولم يشعر بنفسه الا وشفتيه قد اطبقتا على شفتيها في قبلة طويلة نهضت عـــلى اثرها

كلارا وخرجت مسرعة وهي تقول اني أنتظرك في السيارة غير ملابسك وتعال سريعاً فقد انتظرتك عشرة دقائق امام العمارة وكأنها عشر سنين وضغطت على منبه السيارة مرتين ولكنك لم تسمعني وعندما سألت البواب قال انك في الداخل فتعجبت لذلك ودخلت فشاهدتك تغوص في بحر الافكار . اني ذاهبة ارجو ان لا تتأخر .وخرجت بعد ان انهت كلامها .

انتصب كمال واقفا وذهب لتغيير ملابسه ثم خرج للقاء كلارا

جلس بجانبها وانسابت بهما السيارة سألته كلارا عن المكان الذي يرغب بالذهاب اليه فاخبرها بانه يرغب في مكان هادىء فاصطحبته الى منتزه معزول وبعد لحظة شاهدته شارد الذهن فالتفتت اليه وقالت :

انك ان بقيت على هذا الشرود فلنرجع ادراجنا خير لنا .

فابتسم وقال لها .

سأنبذ الافكار جانباً طالما انت بجانبي .

ثم اخذا يتبادلان نظرات الحب والغرام واحاديث الهوى وقضيا ليلة كلها رقص وكلمات حب رقيقة ومرح حتى ساعة متأخرة من الليل فارادت كلارا ان تقله بسيارتها الى شقته ولكنه امتنع وأصر على ان يوصلها هو الى دار والدها ويعود بعد ذلك لانه لا يستطيع ان يتركها تعود لوحدها في هذه الساعة المتأخرة من الليل وامام الحاحه وافقت على ذلك وبعد ان وصلا الى دار والدها ترجل كمال من السيارة وودعها على امل اللقاء في الصباح وعاد بسيارة اجرة الى شقته .

وعلى هذا المنوال قضيا ثلاثة أشهر اخرى كانت من اسعد أيام حياتهما نهلا فيهما من بئر الحب ما استطاعا نهله من شوق وهيام وحب وحنان .

مضى على عمله في المصنع ما يقارب او يزيد عن الخمسة اشهر واصبح لديه

مبلغاً ادخره يكفيه للذهاب الى فلسطين الحبيبة .

وفي أحد الايام جاءته كلارا قائلة :

ان والدي يرغب برؤيتك ؟ قال لها :

هل حدثته عني ؟ اجابته :

نعم وعن كل شيء سوى حبنا . كما انك مدعو الى الغداء في بيتنا غدا هل ستحضر ؟

قال : وكيف استطيع رفض دعوتك .

وفي اليوم الثاني انطلقت كلارا بسيارتها مع كمال الى دارها وعندما وصلا ترجل الاثنان ودخلا الى باحة الدار وقد كانت عبارة عن فيلا ضخمة تدل على ثراء صاحبها الشديد .

ادخلته كلارا الى غرفة الاستقبال وبعد لحظات جاء والدها فنهضت وتقدمت منه وقالت :

يا والدي اعرفك بصديقي كمال عبد الجبار واكملت حديثها موجهة كلامها الى كمال قائلة . عزيزي كمال اقدم لك والدي العزيز . فنهض كمال وتقدم من والدها وصافحه بحرارة بالرغم من انه لم يجد راحة لمنظره .

وطلب منه والدها الجلوس فاطاعه وجلست كلارا بجانبه واخذوا يتجاذبون اطراف الحديث حول المصنع وحول الشؤون العالمية وقد سأله والدها عن أحوال الفلسطينيين فاجابه كمال قائلا :

انهم الان مشردون ولكن قلوبهم مجتمعة على تحرير فلسطين .

فقال والد كلارا :

اني رأيت بعض الفلسطينيين وقد تزوجوا واثروا واستلموا مناصب حساسة

وامتلكوا الاراضي والاملاك فكيف يضحون بها .

اجابـــه :

انهم في الظاهر هادئون وراضون ولكنهم في داخل قلوبهم ينتظرون اليوم الذي يناديهم به داعي التحرير وداعي الثورة . وانه لقريب باذن الله تعالى .

وقبل ان يطيلوا الحديث نهضت كلارا وقالت ان الغـداء جاهز لنأكل اولا . فنهض الجميع ودخلوا الى غرفة الطعام وبعد ان انهى الجميع غذاءهم وشربوا شراباً منعشاً اعتذر كمال للخروج فقال له والد كلارا :

اني على استعداد لمساعدتكم في قضية فلسطين ارجو اعلامي ان جد شيء جديد .

اجابـــه :

شكراً جزيلا لن انسى هذا الكلام الجميل . وخرج مع كلارا في نزهـــة الى حديقة (هايد بارك) .

اخذا يتجولان بهدوء في حديقة هايد بارك وافكارهما شاردة ويداهما متشابكتان ثم وقفا تحت احدى الاشجار الباسقة وقد وضعت كلارا رأسها على صدره وقالت :

عزيزي كمال هل استطيع ان اعلم مقدار حبك لي ؟

اجابها كمال وهو يربت على شعرها الجميل باحدى يديه وقد وضع الثانية حول وسطها .

حبيبتي كلارا لا توجد قيمة في العـالم اقدر بها حبي لك ان حبي اكبر من الكون كله هل تشكين في ذلك ؟

فرفعت نظرها الى عينيه وقالت له :

حبيبي كمال اني لا أشك في حبك لحظة ولكني اريد ان اطبق المثل العربي الذي يقول (عند الامتحان يكرم المرء او يهان) .

اجابها كمال :

هل تريدين ان تدخلي حبي في بوتقة التجارب والامتحانات .

ان كان هذا رأيك فاني على استعداد .

اجابته على تسائله :

كمال اني اعلم انك تحبني وانت تعلم اني احبك ولكن ما هي نهاية حبنا وما هي الموانع التي تقف عثرة في طريقنا . انني وحيدة والدي وهو رجل كبير السن ويملك الملايين واني اريدك ان تتزوجني وان نعيش سعيدين ونرزق باولاد يزيدون بهجتنا وسعادتنا ان هذا هو الامتحان الذي اقصده . انك ان كنت تحبني لا تجعلنا نبدد هذه الفرصة .

فاحتار كمال بماذا يجيبها انه يحبها وهي امنيته ولكن سبق له وان نذر نفسه لفلسطين ولا يستطيع ان يترك وطنه الحبيب في يد الصهاينة المجرمين وهو في بلد غريب فما هي سعادته . انه لا زال يعتبر سعادته هي حرية الوطن السليب ووحدة امته العربية وان المسائل الشخصية لا يحق للفرد ان يضعها عثرة في سبيل خدمة وطنه . انه فرد واحد لماذا لا يضحي بسعادته وراحته في سبيل مئة مليون عربي .

ولكن كلارا هل يضحي بها ؟

وقطعت عليه كلارا تأملاته وأفكاره وقالت له .

كمال . . كمال مالي أراك تهت في بحر الافكار اريد جواباً صريحاً .

اجابها وقد سلط نظره على عينيها .

عزيزتي كلارا . كانت لي في الحياة امنية واحدة ولكني بعد ان تعرفت بك اصبحت لدي امنيتان اولاهما هي تحرير الارض السليبة فلسطين والثانية هي الزواج منك .

فقاطعته قائلة :

هل ستحرر فلسطين وحدك ؟ وهل تمنعك فلسطين من الزواج ؟ ألم يتزوج الفلسطينيون جميعهم ؟ قال لها .

كلارا أرجو ان تفهميني انني لا احرر فلسطين وحدي ولكن الشعب الفلسطيني سوف ينهض ثائراً عن بكرة ابيه مطالباً بالتحرير وان الامة العربية ستقدم شبابها قرابين على مذبح الحرية واني لست من الذين يحررون الاوطان من الطغاة بالكلام ؟ اني اريد العمل الفعلي لتحرير فلسطين وليس الكلام وأرجو اخيراً ان تعلمي باني قد نذرت نفسي في سبيل فلسطين الحبيبة .

قلها بصراحة انك لا تحبني ؟ لماذا المراوغة ؟

اجابها وقد خجل من كلامها هذا .

لم أكن أعتقد انك تشكين في حبي واخلاصي لحظة واحدة ما هذا الذي تقولينه يا كلارا . هل ترضين بزوج يترك وطنه وأرضه في يد المغتصبين وشعبه مشرد في مختلف بقاع الارض ؟

هل ترضين بي زوجاً ان تركت وطني وشعبي في سبيل راحتي وسعادتي الشخصية ان لم يضح الشباب في سبيل بلدهم فمن الذي يحرر الاوطان ومن الذي يقود الشعب في درب الحرية الطويل . هل نترك هذه المهمة لنسائنا واطفالنا ونجلس نحن متنعمين بالزوجات الجميلات وبالاموال الطائلة . لم أكن أعتقد انك سترضين بزوج كهذا ؟ ما الذي حل بك ؟

وكانت كلارا قد اجهشت بالبكاء وقالت له من وسط دموعها :

اني لا اقصد هذا ولست من اللواتي يقفن في طريق حرية الاوطان ولكن قصدي ان تحرير فلسطين لم يبدأ فلتزوج الان وعندما يبدأ التحرير فاني لا أقف في

طريقك ابداً .

فابتسم كمال ابتسامة كئيبة وقال لها :

متى يبدأ التحرير يا عزيزتي اننا نحن الذين سوف نحدد الوقت الذي يبدأ فيه التحرير وسوف نكون راس رمح الامة العربية في سبيل الحرية والوحـــدة فكيف تريدين ان اجلس فى ظلال الاشجارمع زوجتي الجميلة وفى بلد بعيد واخطط لتحرير بلدي انني اخاف ان يسيطر علي الكسل وانسى أغلى ما لدي .

وقد ساد بينهما السكوت لفترة طويلة واخيراً قالت كلارا .

لنترك هذا الحديث الى مناسبة اخرى يا عزيزي .

قـال لها :

نعم لنتركه جانباً والان لنتسابق . واحد . اثنين . ثلاثة ابدأ وأخذ يركض وكلارا بجانبه وهو يحاول ان يسليها ما استطاع الى ذلك سبيلا . وبعد أن كلا من الركض جلسا على أحد المقاعد المنتشرة في الحديقة ساعة من الزمن وهما يتبادلان أطراف الحديث دون ان يتطرقا الى بحث مسألة الزواج .

وأخيراً غادرا الحديقة بعد ان ابتدأ الظلام ينشر ظلاله حولها .

وتوجها الى شارع بيكادلي وهما متخاصران دون ان ينتبها الى المارة ولم يعيروهم اي انتباه . وما زالا سائرين حتى دخلا احد الشوارع الجانبية وبعد ان ســـارا فيه مسافة مئة متر دخلا الى نادي لبلي وحجزا لهما مكانا في أحد الاركان الهادئة واخذا يتطلعان الى البرامج التي تعرض على المسرح وهما سارحان فى الخيال . ولم ينبههما الى حقيقة واقعهما سوى صوت الموسيقى الراقصة عندما بدأت تصدح فنهضا واندمجا مع الراقصين . وهكذا بقيا حتى منتصف الليل . عادا بعد ذلك لبيت والد كـلارا حيث تركها كمال وكر راجعاً الى شقته وقد قضى ليلة تعسة ولكنه اتخذ قرارا نهائياً

الفصل الثالث

النكسة

مر عليه ثلاثة اسابيع وهو فى كل يوم يحصي ما لدية من نقود وقد استلم اجرة اسبوعين فقط .

في اليوم التالي عندما جاء مع كلارا الى المصنع كان مرحا ونشيطاً وقد اراد ان يقضي هذا الاسبوع بسعادة ومرح مع كلارا بعد ان صمم على الذهاب في الاسوع القادم الى فلسطين .

أبدت كـلارا تعجبها من ذلك عندما سألته :

أراك منطلقاً هذا اليوم يا كمال هل استطيع معرفة السبب ؟

اجابها ضاحكا :

نعم . اني قد توصلت الى فلسفة وهي ان اتمتع معك بأيامنا هذه وننتظر مايجلبه القدر برحابة صدر .

فابتسمت كلارا وقبلته من شفتيه .

بعد ما يقارب ساعة من الزمن وبينما كانايتبادلان الابتسامات العاطفية والحديث الشجي دخل عليهما احد الموظفين الذين ابتدأت تربطه بكمال أواصر صداقة بدون استئذان وكان يبدو أصفر الوجه وتقدم من كمال وقال له بصوت مرتجف :

كمال لقد بدأت الحرب بين العرب واسرائيل .

فارتعد كمال وانتصب على قدميه وصاح :

ماذا تقول بدأت الحرب ؟ بدأت معركة التحرير ؟

وخرج راكضا الى حانوت المصنع الذي فيه جهاز راديو واخذ يستمع الى الانباء وعلم كيف ان اسرائيل قامت بهجوم غادر كعادتها على الجمهورية العربية المتحدة وكان قد اجتمع بعض الموظفين والعمال حول جهاز الراديو وهم يستمعون الى انباء الحرب . وكانت الانباء الأولية قد بينت رجحان كفة القوة العربية بالرغم من بدء اسرائيل بالهجوم .

اما كمال فقد ترك العمل وطلب من كلارا ان تقله الى شقته لانه يملك هناك جهاز ترانسستور يلتقط به الأذاعات العربية .

وقد نفذت له كلارا ما أراد وأوصلته الى شقته وجلست معه تستمع الى الانباء العربية التي يترجمها لها كمال .

طلب من كلارا ان تذهب الى المصنع فنهضت وقالت له سأحصل على اجازة لكلينا خلالها نستمع الى الانباء . وخرجت مسرعة . عادت اليه في الساعة الثانية من ظهر اليوم نفسه وقد جلبت معها سندويشا لغذاءه . فاكل بعد ان الحت عليه .

وبقيت معه الى وقت متأخر من المساء غادرته على أمل العودة اليه في الصباح الباكر . اما هو فقد قضى ليلته ساهرا ولم يفارق الراديو ابداً وقد نام في ساعة متأخرة جداً .

مع الفجر كان قد نهض وجلس بجانب جهاز الراديو في كل لحظة يستمع الى محطة اذاعية عسى ان يسمع خبراً جديدا . وحضرت اليه كلارا في الساعة الثامنة صباحاً وقد دخلت الى المطبخ مباشرة بعد ان حيته وعلمت انه لم يذق طعام الافطار فقامت بتجهيز افطار الصباح فقدمته له وألحت عليه ليتناول شيئاً فأكل قليلا .

جلس وانتباهه منصب على الاذاعات المختلفة وهي ترقبه بصمت وأخيراً قال

واجشهت بالبكاء فتقدم نحوها كمال واحاطها بذراعيه فالقت برأسها على كتفه وهي لا تزال تجهش ببكاء مر :

وقال لها :

عزيزتي كلارا انني فى اشد الاسف لرسوبي في الامتحان الـــذي اخترته لي . يا عزيزتي وطني يناديني لاضيف ساعدي الى السواعد المكافحة للقتال جنباً الى جنب وكتفا الى كتف مع اخواني في أرض الوطن . يا عزيزتي يقلقني جداً تركـك هنـا ولا يطاوعني قلبي على تجافي حبك واعلمي اني ساحبك وسأظل مخلصاً مهما طـالت الايام ومهما لقيت من مصاعب قاسية . وسأعود بعد النصر بعون الله .

ان كفاحنا سوف يطول وهو كفاح مسلح طعامه الحديد والنار والاجساد .

حاولت كلارا ان تكف عن البكاء وبعد فترة قاربت الربع ساعة سيطرت عـلى دموعها وسكتت بعد ان مسح كمال الدموع الجارية فوق خديها .

وأكمل حديثه قائلا .

عزيزتي كلارا أرجو ان تودعيني بابتسامتك الجميلة وان تنفذي وعدك السابق . هل نسيت يوم وعدتيني بعدم البكاء مهما حدث اين تنفيذك لوعدك ؟

اجابته كلارا .

عزيزي كمال تريد أن اودعك بالابتسامات وانت ذاهب الى ساحة الموت وان فراقنا هذا قد يكون الاخير ؟

اجابها كمال قائلا : عزيزتي كلارا اني ذاهب الى ساحة النصر وليس الىساحة الموت انها ساحة النصر الكامل فاما نصر وانشاء الله يكون او جنـــة واسعة عرضها السموات والارض وكلا الاثنين امنية ولا بد ان النصر ســـوف يأتينا مهما كانت التضحيات ومهما كان الثمن كبيراً . فسوف نزرع طريق الحرية بجثث ابطالناونرويه

بدمائنـــا .

اجابته كلارا قائلة :

اني ادعو لك بالنصر من صميم قلبي وعسى ان يكتب لنا القدر اللقاء مهما طال العذاب وطال الأنتظار .

عزيزي كن على ثقة باني سأخاص فى حبك واحافظ عليه مهما طال المـــدى وسأنتظر حضورك منتصرا .

اجابها كمال بقبلة على شفتيها اسكتتها وجعلتها تنسى واقعها ثـم نهضت لتجلب له بعض الطعام للغداء . وعادت بعد فترة قصيرة وهي تحمل الكثير من الاطعمة بيديها وطهت له طعام الغذاء ألحت عليه كثيراً حتى جعلته يبتسم ويأكل معها وقالت له ان امنيتي منك هي ان تجعلني انسى خلال الساعات القادمة انك مسافر الى مـكان بعيد وان تنسى جهاز الراديو لنقضي هذه السويعات قبل ذهابك فهل تحقيق أمنيتي .

أجابهـا :

لك ذلك يا عزيزتي وتقدم من جهاز الراديو وادار لولبه الى ان سكت فنهضت كلارا وقذفت بنفسها بين ذراعيه فاحتضنها خوفاً من سقوطها ارضاً .

وفى الساعة الخامسة والنصف كان فى مطار لندن مع كلارا التي اقلته بسيارتهـا الصغيرة وعندما حل موعد اقلاع الطائرة ودعها وصعد سلم الطائرة والتفت اليهـا ورفع يده مودعاً فرآها تحاول ان تضبط نفسها خوفاً من البكاء امامـــه فدلف الى الطائرة مسرعاً وبعد لحظات كان فى الجو طائراً .

وبعد ساعة من الزمن هبطا في مطار فينا وترجل الركاب للاستراحة في صـالون المطار وقد حمل كمال معه جهاز الراديو واخذ يستمع الى الانباء وكان ينتظر خطاب الرئيس جمال عبد الناصر وفى تلك اللحظات وصل اذنيه صوت الرئيس عبدالناصر

وسألوا كمال عن أحواله الشخصية وكيف جاء في هذا الوقت العصيب فاخذ يحدثهم بكل ما جرى له منذ ان تركهم قبل سبعة سنوات الى حين وصوله اليهم واخبروه بما جرى لهم والنكسة التي حلت بهم وعندما سألهم عن ابن عمه خالد قالوا له انه التحق بالمقاومة في الأرض المحتلة وسيحضر فى مساء اليوم الثاني لاخذ حاجياته الضرورية. ورفع كمال رأسه يتفحص الغرفة فشاهد صورته التي ارسلها من لندن لهم معلقة على الجدار وعلم كيف استطاع الطفل معرفته .

قضى معهم ذلك اليوم وهو ينتظر بشوق مجيء اليوم التالي ليلقى فيه ابن عمه خالد ويلتحق معه بقوات المقاومة العربية .

وفي مساء اليوم التالي حضر ابن عمه خالد الذي فرح فرحاً شديداً لرؤيته وتعانق الاثنان عناقا حارا وتبادلا النظرات الممتلأة بالاخوة والمحبة واخذ كل منهما يحدث الاخر بما جرى له . وقضيا ليلتهما حتى ساعة متأخرة من الليل وهما يتذكران الماضي ويبنيان للمستقبل .

وقد انطلق كمال مع خالد فى الصباح الباكر الى احدى قواعد الفدائيين وانظم كمال مع خالد الى فدائيي منظمة (فتح) .

ارسل كمال للتدريب مع خالد الى احدى قواعد التدريب الخاصة بالعاصفة وخلال فترة لا تزيد على الشهرين كان كمال وخالد قد حازا على تفوق عالي في التدريب على السلاح وخاصة كمال الذي كان الاول على الدورة والذي ساعدته كثيرا العابه الرياضية فى لندن واتقانه لكافة انواع العاب القوى .

بعد ذلك اختير كمال وخالد للعمل داخل احدى قواعد العاصفة التي تعمل داخل الارض المحتلة . وذلك بالنظر لنشاطهما ولاتقان كمال للغة العبرية جعله موضع اهتمام وتقدير .

اخيرا تحقق حلمه واخذ يقاتل جنبا الى جنب مـــع اخوانه الفلسطينيين فوق الارض السليبة هذا ما كان يفكر به كمال كل مساء بعد عودته من كل دورية يذهب على رأسها قائداً .

ازداد اتقانه لطبيعة الارض التي يقاتل عليها .

اصبحت قياداته للدوريات ناجحة جدا وكان النصر دائما حليفه .

وقد استمر كمال مع اصحابه على هذا المنوال بين نصب كمين لدوريات العدو او رصد دورية او تصيد سيارات العدو لمدة تقارب الاربعة اشهر .

وفى احد الايام جائته الاوامر من القيادة ليلتحق بمدينة القدس مع التعليمات اللازمة عن كيفية الالتحاق .

بعد غروب شمس اليوم الثاني وحين اشتد الظلام خرج كمال على رأس دورية تتكون من ستة فدائيين وانطلقوا في الارض المحتلة متوجهين الى مدينة القدس والكل مسلحون بالبازوكا .

وعندما اقتربوا من المدينة المقدسة شاهدوا دورية عسكرية صهيونية . فاشار كمال لاصحابه آمراً بالوقوف وتقدم من اثنان منهـم واخذهما معه بعد ان القى بتعليماته الى باقي افراد الدورية واخذ الثلاثة يزحفون باتجـاه الدورية الاسرائيلية وعندما اقتربوا منها شاهدوها تتكون من اربعة جنود اثنان منهم قد غطا في نوم عميق والاثنان الاخران يدخنان التبغ ويتحادثان .

تقدم كمال مع رفاقه منهم بهدوء وبلحظة خاطفة كان واقفا فوق الاثنين وبدون ان يشعرا به كانت يده القوية قد امسكت برقبتيهمـا ولم تدم لحظات حتى كانا جثتين هامدتين وفي هذه الاثناء هجم صاحباه على الجنديين الاخرين اللذين نهضا من النوم مذعورين وقبل ان ينطقا بكلمة واحدة سقطا على اثر الضربات التي نالاها من

وقادته الفتاة الى غرفة داخلية شاهد فيها ثلاثة رجال جالسين فى وسطها فتقدم كمال منهم وعرفهم على نفسه بعد ان قال كلمة السر وأعطاهم الرسالة والتعليمات التي حملها اليهم من القيادة . فطلبوا من كمال الجلوس فاطاعهم وجلس في مكان شاغر حول المائدة التي كانوا يجلسون حولها .

ما ان انهى الجميع مطالعة التعليمات التي اوردتهم حتى نهض الثلاثة وعرفوا كمال بانفسهم ووعدوه باللقاء فى اليوم الثاني وخرجوا بعد ان تركوه مع الفتاة وحيداً ثم ان الفتاة قادته الى غرفة اخرى شاهد فيها رجلا مريضاً وامرأة عجوز اخبرته الفتاة بانهما والداها فحياهم وجلس يتبادل اطراف الحديث معهم وهو يوعدهم بالانتقام من الصهاينة .

اخذته الفتاة بعد ذلك الى غرفة صغيرة اخبرته انها غرفته الخاصة فشكر الفتاة واطبق الباب بعد ان خرجت وشاهد وجود بعض الملابس على الجدار فغير ملابسه واضطجع فوق السرير الوحيد الذي في الغرفة وغاب في نوم عميق .

نهض كمال من نومه مرتاح الجسد ولكنه مشتت الافكار .

وبعد ان قدمت له الفتاة التي كان اسمها (أمينة) افطار الصباح خرج معها بعد ان تنكر بملابس عربي كبير السن وسلكا الشارع المؤدي الى السوق القديم وكمال يتفحص المارة وخاصة الجنود الصهاينة والبوليس الصهيوني ويحاول ان يبتعد عن انظارهم ما استطاع الى ذلك سبيلا . وعاد مع أمينة الى دار والدها بعد جولة طويلة فى انحاء القدس بدون ان يعترضهما عارض .

هكذا قضى أربعة اسابيع يتجول طوال النهار مع أمينة ويعود فى المساء لكتابة تقريره ويسلمه الى احد الاشخاص الثلاثة الذين شاهدهم فى منزل أمينة عند حضوره لاول مرة وفي كل يوم يأتي احد الثلاثة ليستلم تقرير كمال كي ينقله الى أقرب

قاعدة للفدائيين ومنها الى القيادة .

وفى صباح يوم ١٩٦٨/٣/٢٠ جاءه احد الاشخاص الثلاثة وابلغه تعليمات القيادة التي تقضي عليه بالعودة الى القاعدة بالسرعة الممكنة وقد زوده بتعليمات الرجوع وأبلغه ان آخر الاخبار التي وردتهم هي قيام المجرم موشي دايان وزير دفاع العصابات الصهيونية بالتحرك مع قافلة من مدينة تل أبيب في طريق تل أبيب - يازور وسوف تقوم احدى الدوريات المختصة بملاحقته ونصب كمين له قرب حولون .

ما ان علم كمال بذلك حتى انطلق مسرعاً بعد ان ودع أمينة ووالديها وخرج من مدينة القدس وقد عثر على سيارة بانتظاره خارج المدينة حسب التعليمات التي جاءته فقفز اليها بعد تبادل كلمة السر مع سائقها وكانت (الكرامة) .

تحركت به السيارة بسرعة كبيرة ولم تزل سائرة حتى وصلت الى منعطف طريقين . اخرج كمال التعليمات واخذ يعيد قرائتها ثم طلب من السائق الوقوف فى نهاية المنعطف الذي الى جهة اليمين اطاعه السائق ونفذ ما قاله له وعاد مسرعاً بعد ترك كمال في نهاية المنعطف .

قفز كمال من السيارة وانطلق راكضا في شارع ترابي كان على يساره وبعد ركض دام ربع ساعة شاهد امامه مزرعة صغيرة دخل اليها مسرعاً واتجه الى غرفة خلفية على هيئة كوخ .

طرق الباب ثلاث طرقات متتالية فتح له الباب على اثرها وبرز له وجه رجل بلغ العقد الرابع فقال كمال بسرعة (الكرامة تنادي) على اثرها فسح له الطريق وتركه يدخل الى داخل الكوخ .

شاهد كمال ثلاثة اشخاص جالسين نهضوا عندما رأوه وتقدموا لمصافحته وعرفهم

على نفسه كما عرفوه على انفسهم وذكروا لـه انهم من أفراد الدورية المرسلة لجلبـه مع بعض الفدائيين الاخرين .

ولقد ذكروا له انباء التحشدات الاسرائيلية عـلى نهر الاردن مما يؤكـد تصميم اسرائيل للقيام باعتداء على الاراضي الاردنية .

خرج الجميع من المزرعة بعد ان ودعوا صاحبها وانطلقوا باتجاه نهـر الاردن الذي كان لا يبعد كثيراً عن المزرعة .

وعندما اقتربوا من النهر خلع الجميع ملابسهم بعد ان تأكدوا من خلو المنطقة وقذفوا بانفسهم فى النهر وقد حمل كل منهم ملابسه فى صرة تمنع تسرب المياه .

ما ان خرجوا من الماء حتى توجهوا راكضين بعـد ان ارتدى الجميع ملابسهم وعلى بعد خمسمائة متر من النهر كانت سيارة خاصة في انتظارهم نقلتهم الى القاعدة. وقد اطلعتهم القاعدة على آخر الانباء والتعليمات اللازمة وارسلتهم مع دوريات الى الكرامة .

وكانوا على انتظار قاسي لانباء الدورية التي ذهبت لرصد تحركات المجرم موشي دايان . وبعد الساعة الواحدة وردتهم انباء القيام بعمليتهم ولكن المجرم كان قد نجا منها بعد ان اصيب اصابات فادحة .

واخذت الانباء تتوارد اليهم عن تحركات العدو وعن كثرة احتشاد قواته بعد اصابة موشي دايان وانتشار هذا الخبر وعلمت قيادة الفدائيين ان العصابات الصهيونية ستقوم بحملة على الاراضي الاردنية لغرض الانتقام من الفدائيين .

واختلت القيادة تتدارس المعركة المقبلة وهل تخوضها ام لا .

وكان الاختيار بين القتال والانسحاب صعباً ولكن في النهاية كان قرار القيـادة رجولياً وبطولياً جداً وهو (وجوب الصمود في الكرامة) وتوصلوا الى حتمية المعركة

ولكن يجب ان تكون مدروسة ومتقنـــة والا كانت وبالا عليهم لكثرة التحشدات الاسرائيلية وكانت أهم الأسباب التي دفعتهم الى اختيار طريق الصمود هي :

١ ـ يجب رفع معنويات الفدائيين والجماهير الفلسطينية والامة العربية بعـــد نكسة الخامس من حزيران .

٢ ـ وجوب تحطيم معنويات العدو والحاق أفدح الخسائر المعنوية والعسكريـة بـــه .

٣ ـ تقوية الالتحام بين الجماهير والمنظمات الفدائية كي تصبح سنداً وقـاعدة للثـــورة .

٤ ـ ضرورة زيادة التعاون والتقـارب والثقة بـــين الجيش الاردني وقوات العاصفة .

٥ ـ كشف وتصفية الثورة المضادة لحركة المقاومة الفلسطينية داخـــل الضفة الشرقية لنهر الاردن وفضح مخططاتها الرامية الى تصفية الثورة .

٦ ـ اختبار قوة وثقة المقاتلين بانفسهم عند مواجهة العدو وجهاً لوجه كي يعلم الجميع خرافة الجندي الصهيوني .

وكانت هذه النقطة هي التي شدد عليها وأكد عليها المتحدث باسم القيادة العامة والذي نقل لهم قرار القيادة العليا وقد ذكر لهم بان هذه المرحلة من أقسى مراحل الكفاح المسلح ويجب عليهم اجتيازها .

الفصل الرابع

معركة الكرامة

وفي المساء كان الفدائيون قد وزعوا قوتهم حسب الخطة التي سلكتها القيادة وهي كالاتي :

١ ـ ان يتركوا العدو ليتقدم من منطقة الغور بعد ان يجتاز النهر بدون ان يلاحظ وجود الفدائيين .

وعندما يتوغل داخل الاراضي الاردنية يشن الفدائيون فى منطقة الغور هجومهم على شكل غارات سريعة ومفاجئة عليه بقصد تدمير قواته المدرعة وارباك قوات مشاته ومنع طيرانه من تدمير مراكز الفدائيين خوفاً على جنوده .

٢ ـ اما بالنسبة للكرامة فقد تم توزيع قوات العاصفة كالاتي :

في الطرف الجنوبي من المدينة وضعت الدورية رقم (١٩٣) وعلى رأسها كمال وقد قسمها الى قسمين لكي تطوق مدرعات العدو عندما تدخل المدينة من الجهتين الغربية والشرقية .

كما وضعت الدورية التي يرأسها ابو شريف للتصدي لقوات العدو التي تتجه ناحية الغرب . اما القوة التي ستتجه للناحية الشرقية فقد وضعت الدورية (٢٦٣)

اما فى شمال مدينة الكرامة فتقوم القوات الموجودة على الجبال الشرقية بضرب القوات المتقدمة بمدفعية الهاون والقذائف الصاروخية لكي تجبرها على التحول غرباً حيث قاموا بزرع حقل من الالغام لهذه الغاية .

اما اذا اتجهت شرقاً فسيدور قتال شوارع لن يتمكن العدو من مواجهته ولن يستطيع استعمال سلاح الطيران كانت هذه خطة الفدائيين لمواجهة خطة العدو التي اعتقدوها كما يلي :

يتقدم العدو اولا بثماني دبابات من الناحية الجنوبية وخمس دبابات من الناحية الشمالية وكانت قواة مشاة العدو محمولة كالعادة بسيارات نصف مجنزرة مصفحة تسير بحماية الدبابات وكان مجمل قوات العدو التي حشدها لهذا الغرض هي (ثلاثة الوية مدرعة واثنا عشر ألف مقاتل) مع حماية سلاح الطيران لهم .

وكان هدفه هو محاولة تطويق الفدائيين وابادتهم .

وقد طبقت خطة الفدائيين على احسن وجه .

فقد اجتازت قوات العدو نهر الاردن من جسر المندسة وجسر الملك حسين وانطلقت قواته فى محاولة لتطويق الفدائيين من الشمال قرب الشونة الشمالية وفى الوسط والجنوب . ولكنهم عندما لم يشاهدوا اثراً للفدائيين تقدموا بهدوء واطمئنان وبعد ان اجتازوا غور نهر الاردن اخذت الغارات تتوالى عليهم من كل جانب مما اربك قواتهم المدرعة .

وكانت قوات العدو المتقدمة من الجنوب قد وصلت الى نقطة تبعد مائة متر عن المكان الذي كمن فيه كمال على رأس دوريته رقم (١٩٣) وهو ينتظر بشوق وعزم اللحظة الحاسمة كي يصليهم ناراً حامية وعندما ابتدأوا بالتقدم رفع كمال يده اشارة بيده اطلاق النار . وفى تلك اللحظة فتحت النيران على قوات العدو من كل جانب مما اربكها وجعلها تدور الى الجهة الغربيه وسارت مسرعة وقد تركت ورائها ثلاث دبابات محترقة وبعض ناقلات جنود فارغة قفز منها جنود العدو والتجأوا الى بيارة موز غربي الشارع .

لم تدم هذه المعركة سوى دقائق معدودة مما لم يشف غليل كمال ولكن هرب الجنود الصهاينة اطربه . وقد اصطدمت القوة التي اتجهت ناحية الغرب بدورية ابو شريف الذي تلقاهم بالنيران الحامية وبعد معركة دامت ربع ساعة سكتت نيران العدو واخذجنوده يهربون بدون نظام وباتجاه النهر فيما كانت قذائف الهاون (٨١) تتساقط عليهم .

وفي نفس الوقت كانت قوات العدو المتقدمة من الشمال قدوصلت الى منتصف البلدة وهي مشتبكة مع تيران مدفعية الهاون .

وعندما أطلت أول دبابة للعدو في مفترق الطرق الاول داخل المدينة قفز نحوها احد الفدائيين وقد حمل في يديه قنبلتي ميلز وربط حزاماً ناسفاً في وسطه وخلال ثواني كان فوق الدبابة وقد فجر القنبلتين والحزام الناسف بنفسه والدبابة الاسرائيلية وكان هذا هو (ربحي) اعز اصدقاء كمال .

وبهذا تمكن من سد الطريق امام الدبابات بعد ان احترقت اول دبابة .

استدارت باقي دبابات العدو الى المنازل المبنية على جانبي الشارع واخذت تهدمها وتسير فوق انقاضها التي كانت مبنية من اللبن والقش .

وفي نفس الوقت حضرت قوات نجدة كبيرة للعدو من الناحيتين الشمالية والجنوبية وحاولت قوات الوحدة الشمالية القيام بعملية التفاف حول المدينة من الناحية الغربية فوقعت في حقل الالغام الذي زرعه الفدائيون حيث ابيدت عن بكرة ابيها . ومن الناحية الجنوبية كانت قوات نجدة قد وقفت على بعد كيلو متر من المدينة وبدأت بتركيز قصف مدفعيتها ورشاشاتها الثقيلة على المدينة دون هدف واضح .

ثم قام العدو بانزال المظليين على الجبال الواقعة شرقي المدينة في الوقت الذي كانت فيه مقاتلات العدو تلهب الارض وتحرق الدور والمزارع بقنابل النابالم حتى

ان بعض قذائفه كانت تصيب قواته نفسها .

ولقد لعبت مدفعية الجيش العربي الاردني دورا عظيماً عندما منعت العدو من ادخال قوات مدرعة اضافية عبر الجسور ولذا قام العدو بادخال قوات مدرعة على جسور نصبها فوق النهر ولكن هذه القوات وقعت في حقل الغام زرعته قوات العاصفة في محاذاة الضفة الشرقية لمجرى النهر .

وقد دارت معركة قوية على دورية أبو شريف وازداد ضغط العدو عليها الى ان نفذت من عندها الذخيرة ولم تصلها امدادات واستشهد كافة أفراد الدورية عدا ابو شريف والفوسفوري الذين نهضا لمقاتلة العدو بالسلاح الابيض واشتبكا معه حتى استشهد الفسفوري بعد ان قتل عدة اشخاص وقد اصيب في صدره اما ابو شريف فقد جندل الاعداء الى ان اصيب بطلقة محمومة في جبهته .

اما كمال فقد استبسل مع مجموعته بالقتال الحار جدا . وكان الى جانبه رفيقه الملازم رؤوف وبين يديه مدفع آر . بي . جي . يقذف الحمم من فوهته على الاعداء ولم يشعر كمال الا ان صوت مدفع رؤوف قد سكت فالتفت اليه ورأى منظراً اهتز له فقد كان رؤوف مصاباً بطلقة في جبهته وكانت ذخيرته قد نفذت قبل ان يستشهد .

عاد كمال راكضاً نحو ابن عمه خالد الذي كان في نفس دوريته وكان قد جلس ارضاً وبين يديه مدفع (ال ب ١٠) وقبل ان يصله سكت مدفعه فعلم ان ذخيرته نفذت فصاح به مسرعاً : اتبعني يا خالد لنتسلل الى مكان آخر قبل ان يبيدنا الاعداء اسرع .

وخرج راكضاً وخالد خلفه وتبعهم باقي أفراد الدورية الذين لم يستشهدوا ثم أمرهم بالاختباء في احد الخنادق وبعد مرور فترة من الهدوء اشار الى اصحابه بالتسلل بهدوء نحو الجبال . وهنالك اصطدموا بقوات مظلات العدو فهجموا عليها

وابادوا قسماً كبيراً منهم بالسلاح الابيض وقد استشهد ابو طير الذي قذف بنفسه امام كمال لمقاتلة احد المظليين وكانت نتيجته الاستشهاد وهو لم يتجاوز العشرين من عمره وقد انتقم كمال له انتقاماً شديداً اذ هجم على قاتله ولكمه لكمة جعلته يدور حول نفسه دورة كاملة ثم انهال كمال عليه ضرباً ولكماً الى ان اسقطه ارضاً جثة هامدة . وركض باتجاه الثاني الذي كان قد جاء لنجدة صاحبه وبلحظة واحدة كان كمال قد شق بطنه شقاً طولياً كبيراً سقط على اثرها ارضاً . واخذ يركض باتجاه كل جندي صهيوني يشاهده بدون ان ينتبه الى الخطر الذي يأتيه وقد تبعه ابن عمه خالد واوقفه وعلم ان مقتل ابو طير قد أهاجه . وكان باقي المظليين قد فروا من امامهم .

وفي الطرف الشمالي من الكرامة كان ابو أمية قد قفز الى برج احدى دبابات العدو وأخذ يطلق الحمم باتجاه المظليين حتى اصيبت الدبابة بصاروخ اطلقته احدى الطائرات واستشهد ابو أمية على ظهر الدبابة .

وفي الساعة الثانية عشر والنصف ابتدأت طائرات الهليوكوبتر تلقي المناشير تدعو فيها سكان الكرامة للأستسلام وتطمئنهم الى ان هدفهم هو قوات العاصفة فقط . ثم ابتدأت مكبرات الصوت تعوي بنفس النداء ولكن بدون مجيب وفي الساعة الواحدة ظهرا كانت النيران قد سكتت في مدينة الكرامة واصبح الهدوء شاملا ولم يبقى من دور المدينة سوى المنازل القليلة التي تصدعت ولم تتهدم .

وأخذ العدو من شدة غضبه ومن فشله يقتل المدنيين الذين رفضوا ان يغادروا مدينة الكرامة مع اخوانهم عندما طلب منهم الفدائيون ذلك . وكان جلهم من الشيوخ ومن الاطفال والنساء . ثم ابتدأ جنود الصهاينة ينهبون الدكاكين والدور الى ان احالوا المدينة الى انقاض بالية .

اما كمال فانه بعد ان تسلق الجبال مع خالد والبقية الباقية مـن أفراد دوريته عاد الى الحقول ليرى ما حل باهلها وقد مروا على احدى المزارع التي كانت قريبة منهم بعد ان طرق سمعهم صوت الرصاص يلعلع في داخل المزرعة وعندما تقدموا مـن مصدر الرصاص شاهدوا امرأة عربية قد وضعها ثلاثة جنود من الصهاينة في وسطهم وهم يضربونها باعقاب بنادقهم ويركلونها بأقدامهم كي ترشدهم الى مكان الفدائيين والى الجهة التي ذهبوا اليها وكانوا قد قتلوا زوجها عندما رفض أن يخبرهم عن مكان الفدائيين .

فلما رأى كمال ذلك اشار الى اصحابه بالبقاء في مكانهم وتقدم هو من الجنود الصهاينة متلصصاً .

وكان الجنود الصهاينة في غفلة من أمرهم ولم يتصوروا ان يأتيهم الفدائيون هنا .

تقدم كمال من رئيسهم الذي كان برتبة ضابط وهو لاه فى الضحك على تعذيب المرأة العربية . ولم يشعر الا ويد كمال قد طوقت عنقه ولمست شفرة السكين الحادة رقبته وصاح بهم كمال قائلا :

ارموا اسلحتكم ارضاً ايها المجرمون والا نزلت سكيني في رقبة ضابطكم .

وصاح بهم ضابطهم طالباً منهم الأستسلام .

ولكن الخوف الذي سيطر عليهما جعل احدهما يضغط على زناد رشاشته بدون شعوره ويردي ضابطه قتيلا من شدة الخوف اما كمال فانه اتخذ من الضابط القتيل درعاً واقياً وسحب مسدس الضابط وقتل به احد الجنديين اللذين اخذا يرتجفان خوفا ورعبا ثم رفع كمال المسدس الذي حصل عليه من الضابط واطلق النار نحو الجندي الثاني الذي سقط على ركبتيه وقد سالت دماؤه على جبهته .

نهض كمال على قدميه وقد هجمت المرأة العربية تعانقه وتشكر له مروءته . ثم

تقدم رفاق كمال اليه ولاموه لانه لم يسمح لهم بالاشتراك معه في هذه المعركة الصغيرة وحملوا اسلحة الصهاينة ولكن كمال طلب منهم ان يحفروا قبرا لزوج المرأة وقبرا واسع لجثث الصهاينة وقد رفضوا في البدء الموافقة على دفن الصهاينة في ارضهم الطاهرة ولكن كمال اقنعهم بضرورة ذلك خوفاً على المرأة من ان تقتلها الدورية الثانية عندما يشاهدون جثث رفاقهم .

وبعد ان انتهى الجميع من دفن الجثث ودعوا المرأة وانطلقوا الى مزرعة اخرى.

وقد فكر كمال ان الجنود الصهاينة سوف يصطادونهم دفعة واحدة ولذلك طلب من اصحابه التفرق وان يذهب كل واحد منهم الى جهة مختلفة . اخبرهم عن النقطة التي يلتقون فيها بعد ان يتخلصوا من نيران العدو وركض كمال الى جهة اليسار لوحده وقد شاهد مزرعة تحترق ووصل الى اذنيه صراخ اطفال صغار وصوت امرأة تستنجد فجاء مسرعاً ودخل الى المزرعة وهو يركض باتجاه النار ودخل الغرفة التي كان يأتيه منها صوت البكاء فشاهد طفلين لم يبلغ اكبرهما الثالثة من عمره وقد طوقتهم النار من كل جهة فقفز اليهم من وسط النار وحملهم بين يديه وخرج مسرعاً وجاء الى جهة الصوت الذي اعتقد انه صوت امرأة تستنجد فرآها مضطجعة ارضاً وقد وضعت يدها فوق بطنها والدماء تنزف من بين اصابعها وعندما رأت طفليها حاولت النهوض ولكنها لم تتمكن فصاحت بكمال قائلة .

ارجوك ان تنقذ حياة هذين الطفلين وان تذهب بهما الى المزرعة التي على يسارنا وتسلمهما لشقيقتي هناك اذهب بسرعة قبل عودة الصهاينة ثم سقط رأسها على الارض فعلم كمال انها فارقت الحياة .

وهرول نحو المزرعة التي اشارت اليهما وهو يحمل الطفلين معه وقد ادخلهم الى المزرعة فتلقته امرأة لم تتجاوز الثلاثين من عمرها هجمت على الطفلين واحتضنتهما

واخبرها كمال بما حل باختها فبكت بكاء مراً وبينما هما منشغلان بالحديث والبكاء طرق سمعهم اصوات غدارات الصهاينة فنظر كمال من الباب وشاهد ما يقارب الثلاثين جندياً اسرائيلياً قد طوقوا المزرعة وعلم ان المقاومة اصبحت مستحيلة عليه وأراد ان يموت بعد ان يقتل العدد الذي يستطيعه منهم ولكن بكاء الاطفال اوقفه وعلم انهم سوف يقتلون الطفلين والمرأة ان قاوم . وقد طلبت منه المرأة ان يغير ملابسه بملابس زوجها واخبرته انها سوف تقول لهم انه زوجها المزارع فنزع ملابسه بسرعة وارتدى ملابس زوجها واضطجع فوق السرير فغطته المرأة بعباءة عربية وخرجت الى الجنود الصهاينة بعد أن خبأت ملابسه وتلقتهم وهي تبكي وترجومنهم ان يعفوا عن زوجها المريض ولكن الصهاينة كانوا قد دخلوا الى الغرفة التي تمدد فيها كمال وصاح به احدهم : انهض ايها القذر .

فتململ كمال في مكانه وحاول النهوض متثاقلا كانه مريض فعلا ولكن الجنود الصهاينة لم يمهلوه وتقدم منه اثنان حملاه من ابطيه وقرباه من الضابط الذي تفحصه وقال لهم :

ضعوه مع الباقي .

فاقتادوه خارج الغرفة والمرأة تتوسل وتبكي الى ان نهرها الضابط الصهيوني وبصق في وجهها وأمر احد الجنود بضربها في اخمص البندقية فسقطت ارضاً فاقدة الوعي .

وذهبوا بكمال الى باقي المزارعين الذين اسروهم وقد وضعوهم في سيارات كبيرة ونقلوهم بحجة انهم فدائيون .

اما المعركة فقد استمرت في الكرامة كالاتي :

فى الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر كانت قوات العاصفة قد انسحبت كلياً

من مدينة الكرامة وتمركزت في الجبال شرقي المدينة واعدت العدة للقيام بسلسلة هجمات مفاجئة سريعة على قوات العدو لاجباره على الانسحاب وفي نفس الوقت كانت مدفعية الجيش العربي الاردني والعراقي لا تزال مشتبكة مع مدرعات العدو وطيرانه جنوبي المدينة عند مثلث العارض .

وفي تمام الساعة الرابعة عصراً قامت اول مجموعة من قوات العاصفة بأول عملية اغارة مستعملة الهاون (٦١) والبنادق الرشاشة فاضطرب العدو بعد ان ظن ان المعركة انتهت .

وفي الساعة الخامسة والنصف التحمت قوات العاصفة من جديد مع قوات العدو داخل المدينة وبكافة انواع الاسلحة .

ابتدأ العدو بالانسحاب في الساعة السادسة والنصف واخذ يعبر النهر على جسور وضعها غربي الكرامة .

ولكن قوات العاصفة كانت قد وصلت الى هناك قبله قادمة من الناحية الجنوبية للمدينة وعلى ضفة النهر الشرقية خسر العدو اكثر من مائة قتيل لم يستطع حملهم معه واستمرت المعركة حتى الساعة الثامنة والنصف عندما كان العدو قد أخلى منطقة شرقي النهر في الشونة الشمالية حتى غور الصافي جنوباً وابتدأت قوات العاصفة بملاحقته بقذائف مدافع هاون عيار (١٢٠ ملم) غنمته من العدو نفسه .

عاد جنود العدو الباقون وهم يرتجفون رعباً وخوفاً ومعهم المزارعون الذين اسروهم ومن ضمنهم كمال . ولقد فرح فرحاً شديدا بنتائج المعركة المشرفة . ولو كان الفدائيون يملكون سلاحاً لانهوا قوات العدو وابادوها عن بكرة ابيها . واخذ يتفحص الالم الذي كان ظاهرا على وجوه الجنود الصهاينة الذين

كانوا يتصورون انهم ذاهبون في نزهة تأديبية ولكن النتيجة كانت ان قابلهم رجال اشداء جعلوهم يرتجفون رعبا وخوفا . وقد تأكد لديه ان هؤلاء الجنود ليسوا ندا لند ان قابلوا الفدائيين وجها لوجه وعندما وصلوا الى مدينة القدس أدخلوهم الى السجون المظلمة .

وابتدأوا بالتعذيب الوحشي معهم وهم صامدون .

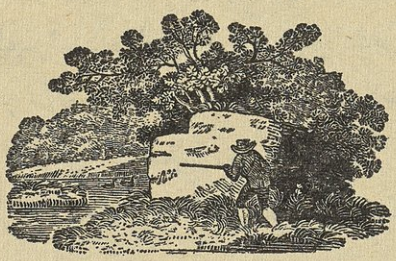

الفصل الخامس

الاعتقـــال

هكذا تم اعتقال كمال مع المزارعين وادخلوهم السجون المظلمة . وقد ربط الى آلة للتعذيب كانت على شكل صليب وتذكر كيف ان هؤلاء الصهاينة يفتخرون بانهم قد صلبوا المسيح عليه السلام .

وقد وضعت كلابات حديدية قوية في قدمي كمال وفي يديه شدته شدا محكما الى آلة التعذيب كما وضع كلابا حديدياً ضخما فى وسطه وكانت هذه الكلابات مربوطة بآلة اخرى بحيث انها تتقلص وتضغط على جسمه عند كل حركة تبدر منه وكانت لها رؤوس مسننة تجعل الدم يتدفق غزيرا من جسده عن اقل حركة .

وتعجب كمال كيف استطاع العدو ان يوفر هذا العدد الهائل من وسائل التعذيب وكم كلفته من مبالغ ضخمة جـــدا وشعر بالاسى عندما فكر ان هذه الآلات ما نصبت الا لابناء قومه الفلسطينيين .

وفي الصباح حضر اليه سجان كريه المنظر قبيح الوجه وخلفه يمشي ثلاثة جنود يحملون افطار السجناء .

وتقدم السجان من كمال وفتح الكلابات المربوطة على يده اليمنى ووضع الاكل بجانبه على حافة بارزة لهذا الغرض في آلة التعذيب بالكاد ان تصلها يـــده وكذلك فعل بباقي السجناء . اما الاكل فلم يكن يستحق ان يطلق عليه كلمة الاكل كان عبارة عن قذارة تعافه النفوس الوحشية ويشعر بالاشمئزاز منه اقسى الوحوش قلبا .

فقد كانت عبارة عن كومة من الاقذار والاوساخ داخل الاناء الذي يظن الناظر اليه ان الماء لم يمسه قبل اكثر من قرن من الزمن وقد ترسبت الاوساخ على جانبيه وفي داخل هذا الأناء كان الاكل الذي يسهل على المرء ان يشرب السم من ان يتذوق هذا الطعام . اما ما يسمى بالخبز فقد كان كتلة سوداء مربعة الشكل نصفها شعير والنصف الاخر لا يعلم احد كنهه .

اشمئزت نفس كمال من هذا الذي يطلقون عليه اسم الطعام وادار عينيه جانبا وكان هذا هو الاكل الذي وزع على جميع المسجونين واخذ يتفحص الجميع وقد شاهد بعضهم يهجم على هذا الاكل بنهم شديد وكانه يأكل افخر الاكل الذي طبخته أفخر الايادي المتقنة فى الطبخ العالمي . وعلم مبلغ المرحلة التي مروا بها من كثرة التعذيب ومن الجوع الشديد . كما شاهد الكثير من اصحابه الجدد قد عافت نفوسهم هذا الاكل مثله والتفت اليه احد السجناء القدامى وقال له :

كل منذ الآن لان الجوع سوف يدفعك لاكله فى المستقبل .

ولكن كمال لم يجبه وادار نظره جانبا واخذ يفكر بالمرحلة التي وصلوا اليها ومدى قسوة الصهاينة . وكم هي تضحية هؤلاء الاشخاص في سبيل وطنهم . وبعد ان انهى السجان توزيع افطار الصباح عاد الى السجناء وهو يحثهم على الاكل بسرعة وعندما اصبح امام كمال وشاهده لم يذق الطعام ضحك عالياً بصوت كريه وقال :

لماذا لم تتناول افطارك انه مطبوخ من حشائش فلسطين اليست غالية عليك ؟

وارتفعت قهقهته عاليا ونظر اليه كمال شزرا وقال له :

اضحك أيها الخنزير كما تشاء ان من يضحك اولا يبكي آخرا .

فاحمرت عيناه غضبا وتقدم من كمال ورفع يده عاليا وضرب كمال بقوة على وجهه وهو يصيح به قائلا :

تأدب عندما تخاطبني والا ندمت على ذلك أيها الحقير .

فلم يسع كمال الا ان يبصق في وجهه وهو يقول :

حتى هذا البصاق كثير عليك ايها القذر .

فاربد وجه السجان واسود وهجم على كمال وهو يضربه بكلتا يديه وكانت يد كمال اليمنى لا تزال طليقة فرفعها عاليا وانزلها بقوة على رقبة السجان سقط على اثرها ارضا فاقد الوعي وفى هذه الاثناء حضر مساعدا السجان وهجما على كمال يحاولان تكبيل يده الطليقة ولكن هذه اليد كانت تذيق الويل لكل من يصل الى نطاق سيطرتها وتجندله ارضا الى ان اخرج احد الجنود الصهاينة مسدسه وصاح بكمال قائلا :

ان لم تهدأ وتجعلنا نكبل يدك فسوف اردديك قتيلا .

فهدأ كمال الى ان كبلا يده الطليقة وحملوا رئيسهم معهم وخرجوا .

التفت السجناء القدامى ان كمال وقالوا له دفعة واحدة .

لقد انتقمت لنا يا خي ولكن بئس الامر سوف ينتقم منك انتقاما شديدا ونرجو منك ان تدعو ربك ليريحك بميتة ترتاح فيها من العذاب المنتظر . وقد اقشعر جسم كمال وقال في نفسه وكيف هو العذاب الذي يعتبر الموت راحة بالنسبة له .

ثم قال مخاطبا السجناء :

لا يهمني العذاب مهما كان ولكني اريد ان اثبت لهؤلاء الصهاينة ان الفلسطيني لا يسكت عن الاهانة مهما كانت النتيجة . وهو مستعد للتضحية بحياته في سبيل كرامته . ان هؤلاء الصهاينة يتصورون اننا نرتجف خوفا من تعذيبهم وليعلموا اننا نستعذب العذاب ونراه سعادة فى سبيل فلسطين العزيزة . وان اهون شيء لدينا هو التضحية بأرواحنا حفاظا على كرامة شعبنا وعزة عروبتنا .

وما ان انهى كلامه حتى دخل عليه السجان وهو يترنح من الغضب ووقف امام كمال وقال له :

كيف انتقم منك وبأي عذاب استطيع ان اشفي غليلي ؟

فابتسم كمال ابتسامة استهزاء واحتقار ولم يجبه . تقدم السجان من الآلة التي ربط كمال اليها وادار احدى الآلات الجانبية فاخذت الكلابات تغوص في يديه وقدميه وفي وسطه وسال دمه غزيرا ولكن كمال لم ينطق بكلمة واحدة ولم يتألم ظاهرياً وان كان في الداخل قد احس بتقطع اوصاله من شدة الالم .

اعاد السجان الآلة التي ادارها سابقاً فارتفعت الانياب المسننة عن جسمه وسال الدم غزيراً من مكان الجروح فصاح السجان بأحد مساعديه طالباً منه ان يأتيه بالماء فجاءه سريعاً ومعه اناء كبير فيه ماء وأمر السجان الآخر بجلب ما سماه بسائل الحياة فذهب راكضاً وعاد بسرعة وقد جلب معه قنينة صغيرة اخذها منه السجان بفرح لا يوصف وفتح القنينة وسكب قليلا من السائل فوق الماء وهو يضحك وأمر أحد مساعديه بحمل الاناء وتقدم هو من كمال ولا زال يضحك وقال له :

يا عزيزي سوف أغسل جسدك جيداً لاني أراه قد اتسخ كثيراً .

وصاح بمساعده (صب الماء فوق رأسه بسرعة) فافرغ مساعده ما يحويه الاناء من ماء فوق رأس كمال وما ان لمس الماء جروحه حتى احس بأن النار قد احترقت في بدنه وكاد ان يطلق صرخة قوية من بين شفتيه لولا انه شاهد في اللحظة الأخيرة الفرح الذي ظهر على وجه السجان الصهيوني فاصر على ان يحرمه من هذه اللذة فكظم الصرخة التي كادت تنطلق عالياً .

ونظر كمال الى الصهيوني وابتسم ابتسامة صرف مجهودا جبارا حتى اخرجها من بين شفتيه فلما شاهدها السجان الصهيوني ارتعد من اخمص قدميه حتى قمة رأسه

وكأن صاعقة نزلت على رأسه . فهاج وماج وصاح بمساعديه بصوت كانه فحيح الافعى وقال :

الى الغرفة الحمراء بسرعة انقلاه الى الغرفة الحمراء .

ولم يعلم كمال ما هي هذه الغرفة ولكنه علم ان العذاب الذي بداخلها يفوق هذا العذاب رفع مساعدا السجان الكلابات الحديدية من قدميه ويديه ووسطه وكاد ان يسقط ارضاً من كثرة التعب وشدة الاعياء الذي اصابه امسك الاثنان كل منهما باحدى يديه وقاداه خارج الغرفة وبدءا يجرانه جراً الى ان وصلوا الى غرفة كان بابها مصبوغاً باللون الاحمر .

ادخلا كمال فى داخلها فرأى السجان في داخل الغرفة وقال لكمال تفضل يا عزيزي انك ضيف عزيز سوف نطعمك مباهج وطيبات التعذيب . اجابه كمال بابتسامة باردة . شكراً لك .

طلب السجان من مساعديه ان يقدما كمال من آلة التعذيب فرفع كمال بصره على الآلة وقد جمد الدم في عروقه من بشاعة منظرها الذي يدخل الرعب الى اقسى القلوب واشجعها .

فلما شاهد السجان انذهال كمال قال له :

تقدم لا تخف ان هذه الغرفة للضيوف الاعزاء امثالك فقط . ودفعه بيده فرفعه المساعدان وقرباه من الآلة التي كانت غريبة الشكل وتضم عدة آلات تعذيب مختلفة الاشكال وكان ابرزها جزء متكون من قاعدة على شكل كرسي مسلوب الأيدي والظهر ويقع في الوسط وعلى جانبيه ولا يبعد عنه اكثر من ثلاثة أقدام على شكل دائري سكاكين مسننة حادة تقطع الصلب والمسافة بين بعضها البعض لا يزيد عن خمسة سنتمترات .

قال له السجان :

ان هذه الآلة سوف تدور بسرعة كبيراً جداً وانك ان سقطت فوق هذه السكاكين فستكون نهايتك أليمة ومؤسفة جدا رفع مساعدا السجان كمال من فوق الارض ووضعاه على الكرسي المسلوب وقد شدا قدميه بأسفل الكرسي بقوة محكمة وكانت يداه وقدماه لاتزالان تؤلمانه الماً شديداً .

ضغط السجان على عتلة صغيرة فأخذ الكرسي بالدوران حول نفسه بسرعة مذهلة جداً وكاد ان يطير من فوق الكرسي لولا انه شاهد السكاكين تلمع امام عينيه كأنها تتحداه . لقد تثبت بكل عزمه وقوته بالكرسي الذي جلس عليه . وكان السجان يضحك من شدة فرحه بصوت عالي ويقهقه . ولكنه اوقف الالة عندما شاهد ان كمال يكاد يفقد وعيه وقد خاف ان يموت قبل ان يكمل لذته الانتقامية . فقال له السجان بعد ان اقترب منه :

اعترف بأنك احد الفدائيين لكي انهي هذا التعذيب .

ولكن كمال لم يجبه وبقي ساكتاً فاعاد عليه السؤال مرة ثانية وثالثة وكمال لم يزل ساكتاً . واخيراً قال السجان :

لنجرب بالاخرى .

وأمر مساعديه فحملا كمال الى الجهة الثانية من الالة ووضعاه في تجويف على هيئة قبر الانسان وابتدأ السجان يحرك آلات مختلفة الى ان بدأ التجويف يصغر حول كمال وفي النهاية وجد نفسه كأنه يدفن حياً واستمر ضغط الالات على جسمه واحس بنفسه يضيق وجسمه يعصر ولكنه امتنع عن الصراخ خوفاً من شماتة السجان الصهيوني خفف السجان من ضغط الالة على جسم كمال واخذ يرفع الالة الضاغطة وشعر كمال بأن الهواء بدأ يلمس وجهه فتنفس الصعداء واخذ السجان يسأله مجددا

عن انتمائه الى الفدائيين . اجابه كمال جواب متقطع قائلا :

لا أعلم ماذا تقول انني مزارع فقير وهذا فقط ما اعلمه .

فابتسم السجان ابتسامه كريهة اظهرت اسنانه الصفراء المخيفة وقال لكمال :

اجبني بسرعة قبل ان يفوت الاوان .

ولكن كمال لم يحر جواباً .

وأراد السجان الصهيوني ان يجرب حظه مع كمال على آلة اخرى لولا دخول ضابط صهيوني منعه من ذلك وطلب منه الضابط بعد ان تفحص كمال ان يأتي به الى غرفته . تركهم بعد ذلك خارجاً .

أمر السجان مساعديه بحمل كمال الى غرفة الضابط وسار هو امامهما .

ادخلا كمال الى غرفة الضابط ووضعاه على احد الكراسي التي كانت موجودة في الغرفة .

اخذ الضابط يحقق مع كمال فسأله عن اسمه وعمله . فقال له ان اسمي هو (علي محمود دعاش) وعملي هو الزراعة فانني مزارع ومزرعتي بالقرب من الكرامة ومتزوج ولدي طفلان .

فقال له الضابط الصهيوني :

انك لست مزارعاً وانت احد الفدائيين ؟ اجبني بصراحة ؟ واترك المراوغة جانباً .

اجابه :

انني لو كنت فدائياً لهربت مع الفدائيين ولما بقيت في المزرعة كي يلقى القبض علي بهدوء .

نظر اليه الضابط الصهيوني متفحصا لفترة قصيرة ثم قال :

انك شاب مثقف وهذا شيء لا يوجد لدى المزارعين وانت احد الفدائيين فلماذا النكران ؟

ولكن كمال لم يحر جواباً فتقدم منه الضابط الصهيوني وصاح به بصوت مدوي (اجبـــني) .

ولكن سكوت كمال استمر . فلطمه الضابط الصهيوني لطمة قوية على وجهه وهو يصيح به طالباً الجواب ولكن كمال لم يتململ في مكانه فانهال عليه الضابط الصهيوني ضرباً وركلا بيديه وقدميه .

واخيرا رفع كمال نظره الى الضابط وقال له بصوت حازم :

لو لم أكن في هذه الحالة لما جرأت ان تمد يدك الي .

فزأر الضابط بالسجان ومساعديه طالباً منهم حمله الى زنزانة انفرادية تبلـــغ مساحتها الداخلية مترا مربعاً واحداً فقط .

لم يستطع كمال ان يضطجع بحرية لصغر الزنزانة فتكور على شكل دائري وبدا الالم ينهش بقلبه واحس ان عظامه تكاد تتحطم وان مفاصله قد استحالت الى شرارات كهربائية تلسعه عند كل حركة تبدر منه

لم يشعر كمال بمرور الزمن من شدة آلامه وظلام زنزانته وشعر اخيرا ان باب زنزانته يفتح بصوت وصرير قويين، وتقدم منه السجان يحمل بين يديه اناء فيه الاكل او ما يسمى بالاكل وضعه امام كمال فنظر كمال اليه ورآه لا يختلف كثيراً عن طعام الافطار فعافته نفسه بالرغم من شدة الجوع الذي أحس به .

صاح به السجان قائلا عندما رأى اشمئزازه من هذا الطعام . ارى انك لا زلت في حياء وخجل من تذوق طعامنا ولكن يجب ان تأكل انك ضيف عزيز لدينا وهل يليق بشبابك النظر وفتوتك ان يذبلا من شدة الجـــوع وانت هنا في فلسطينك وفي

القدس هذا لا يجوز ابد ايها العربي اني اقسم لك أغلظ الايمان بأن هذا الطعام هو من ديدان وطنك اليست هي حبيبة لديك ؟

نظر كمال اليه شزرا وقال له .

ان هذه الديدان احق بالعيش على هذه الارض منك ومن امثالك الصهاينة فركله السجان بقدمه اليمنى بقوة في جنبه كاد ان يزهق روحه فان كمال انيناً موجعاً وحاول التحرك من مكانه ليمسك بقدم الصهيوني ولكن جهوده ذهبت هباء فلم يتمكن من الحركة .

حمل السجان الصهيوني الاناء الذي جاء به وخرج تاركاً كمال يئن من الالم وهو يسمع صرير المفتاح في باب زنزانته . وفي صباح اليوم الثاني طلب الضابط جلب كمال اليه في غرفته فجاء به الجنود الاسرائيليين وادخلوه الى غرفة الضابط الذي كان جالساً خلف مكتبه وقد وضع قدميه فوق المكتب وبين يديه زجاجة بيضاء اللون .

طلب الضابط من الجنود ترك كمال ولكن الاخير سقط ارضاً فاجلسوه فوق احد الكراسي ونظر كمال الى الضابط بعينين محمرتين وشاهد الضابط الصهيوني قد ادخل اصبعين من اصابعه في الزجاجة التي يحملها واخرج اصبعيه يحملان سائلا ابيض اللون وضعه على بشرة وجهه وبدا يدلكها بيده . وقد شعر كمال بتعاسة شديدة في تلك اللحظة وقال بصوت اشبه بالحشرجة .

هل هؤلاء هم الضباط الذين ينتصرون على الامة العربية انهم اقرب الى الاناث

منهم الى الرجال ويل لتعاسة حظنا غلبتنا نساء .

فصاح به الضابط ماذا تقول ولكنه لم يجبه بل اخذ ينظر الى الاصابع التي كانت لا تزال مستمرة في تدليك البشرة الناعمة وسأله الضابط الصهيوني .

لماذا لا تعترف بقواعد الفدائيين وسوف نعفو عنك ونسلمك مبلغاً كبيراً من المال ونرسلك الى امريكا تعيش فيها مرتاح البال فهذا خير لك من ان تموت في هذا العذاب ؟

اجابه كمال بكبرياء واباء ظاهر قائلا :

ليس هذا شأن العربي ان هذا يليق بكم انتم الذين لديكم الاستعداد لبيع كل شيء بالمال حتى انفسكم .

قال الضابط الصهيوني :

انتم الذين بعتم ارضكم ووطنكم .

صاح به كمال قبل ان يكمل حديثه .

خسئت ايها القذر لم يبع اي فلسطيني داره بحرية . لقد اجبرتموهم وعذبتموهم كي يبيعوا لكم اراضيهم . انهم باعوها بدمائهم من منهم باع ارضه وترك داره قبل ان يفقد شخصاً او شخصين ذهبا قتلا بيد عصاباتكم أيها الخونة .

اجابه الضابط :

اراك محتدا اني اردت مساعدتك ولكنك لم ترغب بهذه المساعدة بئس الامر

ستموت ابشع ميتة وستتمنى ان امك لم تلدك .

فصاح به كمال :

لا تذكرني بامي التي ذهبت ضحية غدركم واجرامكم ايها المجرمون القساة لسوف تكون نهايتكم قريبة .

امر الضابط الجنود الصهاينة بحمله الى زنزانته .

فخرجوا به مسرعين

الفصل السادس

اللقـــاء

نقل الجنود الصهاينة كمال الى آلة التعذيب مجددا وابتـدأ الضابط الصهيوني يحقق معه وقد وضع داخل الآلة الضاغطة وتركوا رأسه يبرز خارجاً واخذ السجان يحرك الآلة مختلف الحركات للضغط على اجزاء جسده . وقد شعر كمال انه اصبح بدون جسد وشدة الالم تعصر قلبه وتكاد تفقده حياته .

وقف الضابط الاسرائيلي بجانب راس كمال وبدا يسأله طالباً منـه الاعتراف بانه احد المخربين كما كان يقول الضابط الصهيوني ولكن كمال تجاهل ذلك . طلب الضابط من السجان ان يباشر بالتعذيب الشديد ريثما يذهب لبعض الاعمال المهمة .

خرج الضابط وابتدأ السجان بالتعذيب الوحشي مع كمال لارواء حقده وقد اغمى على كمال ثلاثة مرات مـن شدة الضغط الهـائل .

وبينما كان السجان مستمرا بالتعذيب الجهنمي طرق سمع كمـال صوت وقف له شعر رأسه وظن نفسه في حلم ولكن الصوت كان يقترب منه ثم سكت وسمـع كمال صوت الضابط الصهيوني يقول لسيدة معه تفضلي يا انستي يوجد احد المخربين في الداخل القينا القبض عليه عندما هاجمنا الكرامـة . فعلقت عينا كمال بالباب ينتظر دخول المرأة التي اشتبه بصوتها وقد نسي عذابه وألمه الشديد .

دخلت فتاة بهدوء وخلفها الضابط الصهيوني وما ان شاهد كمال وجهها برزت

عينيه من محجريهما بدهشة فائقة واحس بأن الدم قد جمد في عروقه وامتقـع لونه امتقاعاً شديداً اذهل السجان وظن انه يعالج سكرات الموت . وقد سمع صوتـه يحشرج قائلا :

انت . . انت ! !

اما الفتاة الداخلة فانها ترنحت جانباً عندما شاهدت كمال وسمعت صوته وكادت ان تسقط ارضا لولا ان الضابط الصهيوني اسندها بيديه . ثم تمالكت نفسها وهجمت نحو كمال وهي تصيح وقد نسيت نفسها :

كمال . . لقد وجدتك اخيراً يا حبيبي .

استطاع بجهد جهيد ان يسيطر على شعوره واعصابه وابتسم بهزء ابتسامة احتقار فقد كانت الفتاة هي حبيبته كلارا . وقال :

اذن انت صهيونية ؟ اهلا وسهلا لقد اتقنت دورك بصورة مدهشة اهنئك مـن صميم قلبي .

فصاحت به بصوت خائر قائلة .

كمال . كمال ماذا تقول هل تشك بي . نعم انني يهودية ولكني لست صهيونيـة ولقد جئت افتش عنك صدقني واجهشت بالبكاء .

اجابها كمال ولا تزال ابتسامة الاحتقار على شفتيه .

اتركي الاعذار والحجج جانباً لقد ظهرت الحقيقة الآن ولا تتكلمي ابدا .

فقد علمت سبب الحاحك وطلبك مني البقاء في بريطانيا وعلمت السبب الحقيقي الذي من اجله منعتني من قتل الصهاينة الثلاثة في السفرة التي قمنا بها الست تذكرين اني اشكر هذا السجن الذي اظهر لي حقيقتك . وسكت وهو يتنفس بصعوبة مـن كثرة الأرهاق الذي اصابه ومن شدة ضغط الالة على جسده فصاحت كلارا بالسجان

طالبة تخفيف الضغط فنظر الى ضابطه طالباً منه الامر فامره برفع الالة عن جسده وقد ارتعشت كلارا عندما رأت ما حل بجسده وكيف ان الدماء كانت تسيل من اماكن مختلفة وجلده بدأ ينتفخ من شدة الضغط . التفتت الى الضابط الصهيوني وصاحت به .

هكذا تعاملون الانسان وتدعون بالانسانية اين رأفتكم التي تنادون بها وأين ثقافتكم التي تعتزون بها .

ان هذا منتهى الوحشية والاجرام ايها المجرمون . الان ادركت صحة الكلام الذي كان يقوله كمال عنكم وعلمت كذب دعاياتكم ايها المجرمين . ثم اجهشت بالبكاء .

قهقه كمال بصوت متقطع وقال بضعف :

هل تمثلين دوراً ما ثانية يا عزيزتي ؟ لقد علمت الحقيقة فلا تتعبي نفسك ؟ دعيني اموت بسلام .

ولكن كلارا لم تجبه بل نظرت اليه نظرات حب وقالت :

سوف ترى بعينيك وتلمس بيديك قوة حبي واخلاصي وصدق كلامي .

اجابها وقد ارتسمت الابتسامة الكئيبة على شفتيه :

اي حب تقولين ؟ لو كنت اعلم ان هذا القلب سوف يحب في احد الايام صهيونية قذرة مثلك لحطمته بين صخرتين . ولكن شاء القدر ان يزيد من سخريتي فاوقعني في حبالك ولولا شدة حبي لفلسطين لنسيتها كما نسيها غيري نتيجة لهذه الخطة المدروسة التي رسمتها عقول الصهاينة ونفذتها بذراتهم المتمثلة بك وبامثالك .

واستمر بعد ان سكت ليجمع انفاسه المتقطعة قائلا :

بئس ما حدث لقلبي لقد كنت كل يوم اتذكر الايام السعيدة التي قضيناها معاً .

ويا شؤم ذلك اليوم الاسود الذي تعرفت به عليك .

لقد عشت معك اياماً كنت اعتبرها اسعد أيام حياتي ولم أكن اعلم انها اشقاها وانها جزء من مخطط صهيوني قذر .

ومن خلال بكاءها قالت كلارا .

لا تظلمني كثيراً يا كمال انني لست ما تقول وما تعتقد . اني احبك . . احبك يا كمال .

فصاح بها بصوت ارتج له المكان بالرغم من ضعفه وألمه وارتعد له الضابط والسجان قائلا :

لا تلفظي هذه الكلمة بشفتيك القذرتين اخرجي اخرجي ايتها الحقيرة .

فخرجت وهي تكفكف دموعها وقد صممت امرا .

اما الضابط الصهيوني فانه تقدم منه مبتسماً وقال له :

والان ما هو قولك ألا زلت تنكر لقد قامت كلارا بدورها بصورة مدهشة . أليس كذلك يا عزيزي ؟

اجابه كمال صائحاً :

نعم اني فدائي فماذا تريد ؟

لست اريد شيئاً مهما ولكن فقط اعترافك عن مقر المخربين وقواعدهم ؟ اجاب كمال .

خسئت ايها الحقير جهز اصعب مالديك من وسائل التعذيب واستمر فى عملك، قال له الضابط الصهيوني . اجيبني بصراحة قبل ان تموت ؟

اجابه كمال : خير لي ان اموت مائة مرة من ان اشاهد وجهك الكريه أيها الحقير .

صاح الضابط بالسجان وقد اصفر وجهه :

باشر بعملك مع هذا المخرب اريد اعترافه بعد ساعتين واتخذ ما تراه مناسباً . وخرج بعد ذلك .

نظر السجان فرحاً الى كمال وقال له :

لقد دنت ساعة انتقامي أيها الفلسطيني .

ولكن كمال لم يحر جواباًومط شفتيه باللا مبالاة وعدم الاهتمام حرك السجان الآلة وابتدأ بالضغط على جسد كمال الى ان كاد يختنق . ثم ضغط السجان على آلة مرتفعة صغيرة وسط آلة التعذيب أحس كمال على اثرها بأن يده قد شلت وان الدم تدفق حارا وهو يسيل على ساعده وصرخ من شدة الالم وعلم ان هذه الالة الجهنمية قد فصلت اظافره عن الاصابع واغمض عينيه كي لا يشاهد الفرح الذي ظهر على وجه السجان ثم شعر بأن قدمه اصابها ما اصاب يده اليسرى ولكن الالم كان اخف لكونه قد ذاقه قبلا عندما فقد اظافر يده اليسرى . اقترب منـــه السجان الصهيوني وقـال .

الا تعترف الان ؟

ولكن كمال سكت ،لم يجبه على سؤاله . وقد كاد ان يفقد وعيه .

دخلت كلارا راكضة في هذه الاثناء وعندمارأت ما حل بكمال صاحت بالسجان قائلة :

ايها الحقير هل تتلذذ بتعذيب انسان ؟ وهل انت انسان ؟

والتفتت الى مدير السجن الذي جلبته معها وقالت له :

أهذه هي الانسانية التي تنادون بها وهذا هو التقدم والتطور الذين تقدمونـــه للسكان العرب ؟ انني اطلب نقله الى المستشفى فوراً . فقال لها مدير السجن :

عزيزتي كلارا لماذا هذا الغضب من اجل عربي ؟ اجابته بغضب قائلة :

أليس العربي انساناً مثلك ؟ انه خير منكم جميعاً ايها المجرمون .

وعندما رأى مدير السجن شدة غضبها قال لها : كما تشائين سوف ينقل اليوم الى المستشفى .

الآن ينقل امامي . صاحت به كـلارا فاجابها مدير السجن . كما تشائين يا عزيزتي .

وكان كمال ينظر اليهم ويبتسم ويظن ان هذا عبارة عـن تمثيلية تجرى امامه وهذا الصراع كانه ليس على حياته .

أمـر مدير السجن السجان بنقله الى مستشفى هداس فذهب السجان لجلب الاسعـاف .

اما مدير السجن فانه التفت الى كلارا وقال لها :

عزيزتي لماذا كل هذا الغضب انه لا يستحق منك نظرة واحدة فلماذا تزعجين نفسك به .

نظرت اليه كلارا غاضبة واجابته بحدة .

هل تعتقد هذا حقيقة أيها المدير لو كنت اعلم ان هـذا حقيقة رأيك وشعورك لعلمت انك من اغبى مدراء السجون فى العالم انظر الى الرجولة التي تتمثل به ؟ اننـا جميعاً لا نعادل قلامة ظفر من اظفاره التي اطارها حقدكم الاعمى واجرامكم الوحشي .

فنظر اليها كمال وقال هازئاً .

لو استطعت التصفيق لابديت اعجابي الشديد لروعة هذا التمثيل .

اجابته وهي تكفكف الدموع التي انهمرت على خديها .

سوف تثبت لك الايام ان كان هذا تمثيلا او حقيقة ؟ لقد خدعتني في الدعاية الصهيونية وكنت اعتقد انهم على حق الى ان شاهدتك وانت فتحت عيني ولقد حضرت الى هنا بعد سفرك لاشاهد الحقيقة بنفسي . وعلمت ان هؤلاء المجرمين ليس لهم هدف سوى استعباد ابناء البشر والتوسع على حساب الغير وانهم ليسوا سوى ركيزة مدعمة للاستعمار العالمي في هذه البلاد النامية .

وصل في تلك اللحظة جنديان من جنود المستشفى ومعهم ناقلة وضعا كمال فوقها وحملاه الى سيارة الاسعاف التي كانت تنتظر خارج باب السجن . انطلقت السيارة بكمال وقد جلست كلارا بجانبه مع الجنديين وخلال لحظات كانوا في مستشفى هداس في القدس .

ذهبت كلارا راكضة نحو الاطباء وطلبت منهم علاج كمال بالسرعة الممكنة وقد تعجب الاطباء من شدة اهتمامها به .

وبعد ساعة من الزمن كان كمال يرقد في احدى غرف المستشفى ولاول مرة احس بالراحة منذ اعتقاله .

نام كمال عندما شعر بالراحة وقد جلست كلارا بجانبه بعد ان طلبت الدواء المغذي له واخذت تشرف بنفسها على علاجه .

لم يصح كمال من نومه طوال ذلك اليوم وقد قضى الليل بطوله نائماً وكلارا جالسة بجانبه تتناوب مع الممرضة المختصة الاشراف على كمال . وفي صباح اليوم الثاني فتح كمال عينيه بهدوء ولم يعلم اين هو وعندما نظر الى السقف والى المكان الذي يرقد فيه تذكر ما مر به من المحن والتفت جانباً فشاهد كلارا جالسة بجانبه وقد اطال النظر الى وجهها وعندما حاول ان يفتح فمه ليتكلم وضعت كلارا يدها فوق فمه وقالت :

لقد منعك الطبيب من الكلام فارجوك ان تهدأ .

فاغلق كمال فمه وابقى نظره مسلطاً عليها وهو يريد ان يكشف حقيقة نفسيتها ويريد ان يعلم هل هي حقيقة مخلصة ام ان هذا كله تمثيل فقط .

وتوصل الى نتيجة اعتقد بصحتها وهي انهم بعد ما عجزوا عن اجباره على الاعتراف لهم ارسلوا كلارا اليه لتأخذ اعترافه بطريقتها الخاصة . ولكن حتى هذه الفكرة التي اعتقد بصحتها توجد فيها الكثير من الثغرات ومنها كيف علموا بعلاقته مع كلارا وهو متأكد ان كلارا لم تشاهده قبل دخولها اليه في غرفة التعذيب . فبقي محتارا .

جاءته الممرضة بافطار الصباح بعد ان كانوا قد رفعوا الدواء المغذي ووضعته امامه وكانت كلتا يديه ملفوفتين بالضمادات فحار كيف يأكل . فتقدمت منه كلارا وأخذت الملعقة كي تطعمه فامتنع في بادىء الامر ولكنه وافق بعد ان ألحت عليه فسكت .

قضى على هذه الحالة اسبوعين كاملين في المستشفى وكلارا لا تفارقه منذ مطلع الشمس حتى ساعة متأخرة من الليل .

تحسنت صحته كثيراً نتيجة للعلاج والاشراف الكامل واستطاع المشي على قدميه واخذ يتنزه في باحة المستشفى مع كلارا يومياً . وكانا قد اتفقا على عدم ذكر الموضوع بينهما ابدا الى ان يفهم احدهما الآخر بصورة جيدة .

وفي احد الايام خرج الاثنان يتنزهان في الحديقة وبينما هما يسيران التفتت اليه كلارا وقالت له :

كمال لقد تحسنت صحتك كثيرا فماذا تريد ان تعمل اني اراك تفكر كثيراً واني اتمنى ان نقضي اطول مدة ممكنة مع بعضنا ولكنك دائم التفكير ولا تثق

بكلامي ابدا . ولكني سوف ابذل جهدي في سبيل اطلاق سراحك بحجة انك تذهب معي الى لندن ومن هناك تذهب أين تشاء .

انني يا عزيزي لست صهيونية ولكـني يهودية فوالدي يهودي ووالدتي كندية . وكما تعلم فان والدي غني جدا ولذا ترى الصهاينة يترددون اليه طمعا بالتبرعات التي يقدمها لهم وطمعاً بنفوذه في امريكا . واني كنت منخدعة بالدعايـة الصهيونية وصدقت كل ما يقولونه عن العرب الى ان تعرفت بك فتغير الامر وبدأت ثقتي بدعاياتهم تتزعزع ولقد فتحت انت عيني على الحقيقة وحاولت تجاهلها لحظة وقد صعب علي ان اكشف لك حقيقة والدي وحقيقة كوني يهودية خوفاً من ان اخسرك .

وبعد ذهابك بقيت وحيدة تائهة فطلبت من والدي ان يأتي بي الى فلسطين لاطلع على الحقيقة بنفسي .

وكان ان شاهدتك وقد مر علي اسبوع واحد قبل رؤيتك في غرفة التعذيب وكان قلبي يحدثني دائماً برؤيتك . هذه هي حقيقة حكايتي ان شئت صدقها وان شئت لا تصدقها .

توقف كمال ونظر في عينيها طويلا وقال لها :

كلارا هل استطيع ان اصدقك ؟ وهل كان لقاءنا صدفة ؟ وهل الحاحك السابق طالبة مني البقاء في لندن هو حب صادق أم شركا ؟ اجابته كلارا قائلة :

لقد ذكرت لك الحقيقة يا كمال . فقال بأسى .

ليتني استطيع ان اصدقك يا كلارا . فقالت له كلارا من بين دموعها :

عزيزي كمال لم أكن اصدق انك تفقد الثقة بحبي الى هذه الدرجة ولكني بالرغم من هذا سوف انقذك واتركك تذهب الى قواعد الفدائيين .

ثم تركته وخرجت من المستشفى مسرعة .

لم يرها كمال في اليوم الثاني وقد تعجب وخاف ان تكون قد غضبت منه فانها لاول مرة لم تحضر اليه يوماً كاملا في اليوم التالي لم تحضر اليه حتى الساعة الخامسة مساء فرح كمال كثيراً عندما شاهدها تدخل الى غرفته وكانت تحمل بيدها صرة من الملابس القتها نحو كمال بعد ان حيته وقالت له :

البس هذه الملابس بسرعة تحت ملابسك .

ووقفت فى باب الغرفة خوفاً من دخول شخص قبل ان يرتدي كمال الملابس التي جلبتها معها . وبعد ان ارتدى كمال الملابس التي جاءته بها تحت ملابسه سألها عن السبب فقالت له :

ألا تريد الخروج من هنا اتبعني بهدوء ولا تتكلم وأريد منك ان تطيعني طاعة عمياء ؟ فقال لها كمال :

كما تشائين وسار معها جنباً الى جنب ودخلا الى الحديقة وكان الحراس قد تعودوا رؤيتهم معاً فلم يعيروهما الانتباه اللازم فسارا بهدوء الى نهاية الحديقة وطلبت منه كلارا ان يقفز من فوق السياج فقفز كمال وتبعته كلارا وكانت قد اوقفت سيارة جلبتها معها خلف سياج الحديقة فطلبت منه ان يجلس الى مقود السيارة وينزع ملابس المستشفى .

جلس كمال خلف مقود السيارة وقد علم خطتها ثم خلع ملابس المستشفى وقذفها الى الحديقة وظهر في الملابس التي جلبتها كلارا كأنه من سواق السيارات الخاصة . ثم جلست كلارا في المقعد الخلفي من السيارة وطلبت منه ان يتحرك وخلال دقائق كانت السيارة تنهب الارض تحتهما ولا يعلم كمال الى اين يتجه ولكنه كان يتبع ارشاداتها وقد خرجا من مدينة القدس بدون اعتراض وطلبت منه كلارا

ان يتجه يميناً وبعد ما يقارب النصف ساعة طلبت منه كلارا الوقوف وعلى اثر ذلك ترجلت من السيارة واخرجت من حقيبتها مسدساً صغيراً اعطته له ثم تقدمت من السيارة وضغطت على المنبه ثلاث مرات متتالية فخرج من احد الحفر رجل ومعه دراجة بخارية فلما تقدم منها قالت كلارا بعد ان التفتت الى كمال .

والآن انزع هذه الملابس وغيرها مع هذا الرجل بسرعة .

فاطاعها الاثنان بسرعة وبعد لحظات كان كل منهما قد ارتدى ملابس الآخر بعد ذلك تقدمت كلارا من كمال ووضعت يديها على كتفيه وقالت :

عزيزي كمال هذه دراجة بخارية تركبها وتتوجه بها الى المكان الذي تشاء واني سوف أعود مع سائق سيارتي وهو أهل للثقة اضافة الى انني قد اغربته بمبلغ كبير من المال .

اخذ كمال ينظر اليها وهو يظن نفسه في حلم واخيرا طوقها بذراعيه وقبلها قبلة حارة وقال لها :

عزيزتي كلارا ارجو ان تقبلي اعتذاري على شكوكي بك لم أكن اعلم انك ملاك طاهر .

فقالت له كلارا اذهب بسرعة قبل ان يكتشفوا غيابك في المستشفى وخذ هذه الورقة فيها عنواني في مدينة القدس ان حضرت واحتجت الى مساعدة فاعلم انني مستعدة لذلك . كما انني سوف اكون لسان حالك في كشف كذب الدعاية الصهيونية والآن اذهب يا عزيزي ثم مسحت دمعة سقطت على خدها . فقبلها كمال قبلة اخيرة ووضع المسدس في جيبه وركب الدراجة وصاح بها :

الى اللقاء يا كلارا . ان كان هناك لقاء لحبيبين في هذا العالم فسوف نلتقي .

وانطلق بدراجته مسرعاً وقد التفت اليهما وشاهد كلارا تصعد الى السيارة

وتتحرك السيارة بها عائدة .

اما هو فانه استمر سائراوهو يتجنب الطريق العام خوفاً من الدوريات الصهيونية واخيرا وصل الى نهر الاردن فترك الدراجة تسقط في النهر وغطس هـو كذلك في الماء وخلال دقائق كان قد اجتاز النهر سباحة ومن ثم التحق باقرب قاعدة للفدائيين وقد فرح به اصحابه غاية الفرح بعد ان فقدوا الامل من العثور عليه .

ذهب الى القيادة العليا وقص عليهم كل ما صادفه فهنؤوه بالسلامة .

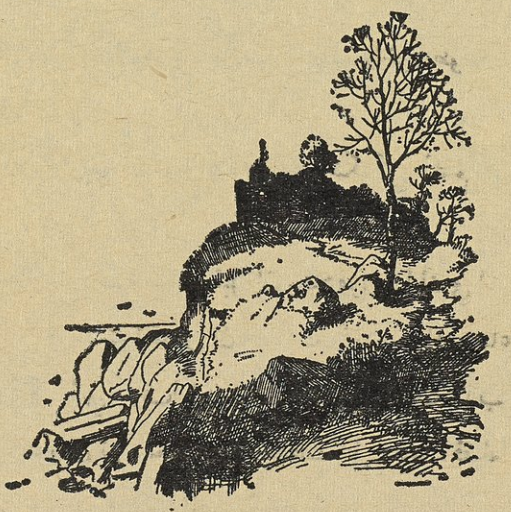

الفصل السابع

قتال وحيرة

بعد ان عاد كمال الى اصحابه وجدان معنوياتهم مرتفعه بعد ان خاضوا معركة الكرامة وقابلوا الجنود الصهاينة وجها لوجه . كما ان الشعب العربي شعر بقوة المنظمات الفدائية وفي ضرورة مساندتها فتوالت المساعدات وانهالت طلبات التطوع الى المنظمات الفدائية .

بعد ان قضى اسبوعاً واحدا بدون الاشتراك في عملية واحدة مل من ذلك واصر على الأشتراك فى العمليات والغارات الفدائية ورفض الاجازة التي منحت له .

بدأ تدريبه معهم واخذ يسهم في الغارات والدوريات اليومية .

وقد ازدادت قوة الفدائيين في الغارات والهجمات اليومية .

وفى اوائل مايس علموا من مصادرهم الوثيقة بالقدس ان العدو سوف يقوم باستعراض عسكري في مدينة القدس العربية وعليه نظرا لهذا التحدي الكبير الذي تقوم به العصابات الصهيونية قررت القيادة العليا لقوات العاصفة الانتقام من الصهاينة خلال الاستعراض رغم علمهم بأن العدو قد شدد المراقبة والحراسة الشديدة حول العرض العسكري ولكن هذا لم يوقف الفدائيين من الانتقام من الصهاينة وارادوا ان يثبتوا لهم انهم يصلون اليهم اينما ذهبوا ومهما وضعوا من حراسة مشددة حول انفسهم .

رشحت المجموعة الانتحارية رقم ٣٧٨ للقيام بالعمل المطلوب وبالرغم من ان

كمال لم يكن من احد افرادها فقد طلب من القيادة العليا اضافتـــه الى المجموعة المذكورة فلبى طلبه .

حضرت المجموعة واختبأت باحدى القواعد القريبة من مدينة القدس . وقد بدا العرض العسكري في الوقت المحدد وما ان افترب العرض على نهايته حتى وصلت المجموعة الانتحارية الى داخل القدس فى لحظة مسيرة نهاية العرض اخذت المجموعة تمطر مؤخرتهم بقذائف الهاون والصواريخ الامر الذي ادى الى ارتباك العدو وانزال خسائر فادحة به وقد جن جنون العدو فتحركت قواته بأعداد هائلة غير منتظمة في محاولة لتطويق القوة الأنتحارية وقد استشهد قائد هذه القوه فتولى كمال قيادتها وقد احس بخطة العدو فقاد اصحابه الى طريق يؤدي الى داخل مدينه القدس لم يكن الاعداء يتوقعون سلوكه من قبل الدورية الانتحارية .

تقدم كمال يركض ورفاقه خلفه وسلكوا الطريق الذي كان العدو يسير عليه وقد اخلاه نتيجة لارتباكه .

وفي احد المنعطفات شاهد كمال كلارا واقفة بجانب سيارة عسكرية وعندما رأت كمال صاحت تناديه بصوت عال فجاء يركض نحوها وعندما اصبح بقربهـــا قالت له :

اصعد يا كمال بهذة السيارة لكي تنجوا بارواحكم .

صعد كمال الى السيارة العسكرية الاسرائيلية وامر رفاقه بركوب السيارة وكانت سيارة كبيرة مسقفة ورفع كمال يده الى كـــلارا شاكرا ومودعاً وانطلق بالسيارة باقصى سرعتها وقد انطلت هذه الخدعة عـــلى الصهاينة بسهولة وخرجوا بالسيارة العسكرية الصهيونية الى خارج مدينة القدس واتجهوا الى اقرب نقطة يستطيعون منها عبور نهر الاردن وقد هجروا السيارة الاسرائيلية كي لا يستفيد منها العدو وعادوا

الى قواعدهم بعد ان فقدوا اربعة مناضلين استشهدوا في المعركة وقد قدر كمال خسائر العدو بما يقارب الاربعين بين قتيل وجريح .

فكر كمال كثيراً بالعمل الذي قامت به كلارا وكيف استطاعت احضار السيارة العسكرية لهم كما حيره السبب الذى دفعها للقيام بهذا العمل وهل هي معه ام ضده .

وفي اليوم الثاني خرج على راس دورية متكونة من خمسة اشخاص ودخلوا الى احدى قواعدهم المتحركة داخل الارض المحتلة ومنها انطلقوا في دوريتهم يتجولون فوق تربة وطنهم العزيز . وفي احدى الطرق المتعرجة شاهدوا سيارة عسكرية اسرائيلية واقفة في منخفض نهاية الطريق فاخذوا يراقبون تحركها وخلال دقائق تحركت السيارة قادمة نحوهم فأمر كمال اصحابه بزرع لغم فى الطريق القادمة عليه وما ان وصلت السياره الى مكان اللغم المزروع حتى انفجر اللغم تحتها وتناثرت قطعها امامهم عالياً وعاد كمال مع دوريته سالمين .

وبعد ثلاثة ايام خرج كمال على رأس دورية كبيرة وقد توغل داخل الارض المحتلة كثيرا ووصلوا الى مستعمرة (بيت حاي) وهي المستعمرة التي اقيمت فوق انقاض القرية التي كان يقيم فيها عمه عندما حضر اليه كمال بعد ابادة افراد عائلته.

جمع كمال رفاقه واخذيشرح لهم خطته للاستيلاء على المستعمرة وتقدم مهرولا مع أربعة فدائيين الى بناية الحرس وخلال لحظات كان كمال قد وقف امام الباب وكان الحراس جالسين حول مائدة وفي وسطهم زجاجة كبيرة يحتسون منها الخمر فوجه غدارته نحوهم وصاح خذوها من يد فلسطينية فجندلهم ارضا وخلال ثواني قليلة وعاد مسرعاً بعد ان ترك احد رفاقه داخل نقطة الحراسة .

وتوجهوا مباشرة الى دائرة البريد والبرق والتلفون في المستعمرة وقد اصطدم مع

ثلاثة جنود خرجوا لمقاومتهم فتمدد كمال ارضاً وطلب من رفاقه التفرق جانباً والانبطاح ارضاً اما الجنود الصهاينة فقد استمروا يطلقون النار نحو المكان الذي تمدد فيه كمال وقد تصوروا ان رفاقه معه اما رفاقه فانهم اصبحوا على يمين الجنود الصهاينة دون ان يخسروا شيئاً ودخلوا الى دائرة البريد واخذوا يطلقون النيران على مختلف الاجهزة اللاسلكية والسلكية وفي هذه الاثناء جاء اليه باقي افراد دوريته وكانوا قد قضوا على كل مقاومة في المستعمرة ورفعوا العلم الفلسطيني فوق المستعمرة قصد كمال الى المكان الذي كانت تقع عليه دار عمه وشاهد انتصاب دار لصهيوني في نفس المكان فدفع الباب ودخل وغدارته مرفوعة بيده فشاهد عائلة متكونة من ثلاثة اولاد وفتاتين بجانبهم والدهم ووالدتهم وهم يرتجفون رعباً وخوفاً وكان الاطفال يتباكون وما ان شاهدوا كمال حتى صرخوا بصوت واحد ارحمنا ايها العربي ولا تقتلنا .

فارتسمت ابتسامة ألم وقال . في نفس هذا المكان لم يرحمنا افراد العصابات الصهيونية فهل تستحقون الرحمة ؟

فاجابه والدهم وهو مختبأ خلف زوجته قائلا .

انكم مشهورون بالمروءة والكرم أيها العربي فنرجوا العطف والرحمة فقال له كمال اني اعفو عنكم ان وعدتني ان تغادر فلسطين وتعود الى البلد الذي جئت منه فاجابه الصهيوني شكرا لك اني دوف اترك هذه الارض التي لا تطاق . فخرج كمال وتركهم فرحين .

استمرت سيطرتهم على المستعمرة لمدة اربعة ساعات وبعد ذلك انسحبوا بعدان حملوا ما استطاعو حمله من المواد التي هم بحاجة اليها وخرجوا تاركين العلم الفلسطيني يرفرف فوق المستعمره .

وزرعوا الالغام في الطريق المؤدية اليها .

عادوا الى قاعدتهم سالمين وقدغنموا خمسة عشر بندقية رشاشة وعشرة مسدسات واربعة صناديق عتاد .

وقد قتلوا ما يقارب العشرين جندياً صهيونياً في المستعمرة من ضمنهم بعض الاهالي الذين حملوا السلاح فى وجههم .

واستمر على هذه الشاكله يروي غليله يومياً بالجنود الصهاينة .

فى اليوم الثامن من الشهر الخامس كان كمال على راس دورية متكونة من ٩ أفراد وكان واجبهم هو فحص الطريق المؤدي الى القدس من الجبهة الشمالية ومراقبة القطعات العسكرية التي تخرج منه .

وبينما هم سائرون بهدوء في الطريق كادوا ان يقعوا فى كمين للعدو ولولا شدة انتباه كمال لسقطوا فى الكمين بكل بساطة ولكن كمال رابته بعض الاثار على جانبي الشارع . فامر اصحابه بالانبطاح ارضاً وفرقهم الى قسمين وامر كل قسم منهما ان يتجه الى الجهة العكسية للقسم الآخر وقد مرت عليهم لحظات كادوا يعتقدون بعدم وجود كمين اسرائيلي ولكن افراد الكمين الاسرائيلي بعد ان شاهدوهم ينبطحون ارضاً ظنوا انهم علموا بوجودهم فاخذوا يطلقون النار نحوهم وهم يجيبونهم بنار قوية واستمرت المقابلة بينهما زهاء ساعة من الزمن قتل خلالها اربعة من الفدائيين وما يقارب السبعة من الصهاينة ولكن عددهم كان يقارب الثلاثين شخصاً اما الفدائيون فقد بقي منهم خمسة وكمال فقط .

فلما شاهد كمال ذلك قال لرفاقه ان هذه معركتنا الاخيرة فلنحاول قتل اكبر عدد ممكن منهم .

وما ان انهى كلامه حتى قفز راكضاً الى منطقة تشرف على الصهاينة الكامنين

وهو يطلق النار من غدارته وقد قتل ثلاثة صهاينة وما ان شاهدوه حتى وجه الجميع نيرانهم نحوه ولكنه استمر يركض وينبطح مرة اخرى الى ان قتل اربعة جنوداً آخرين قبل ان تصيبه رصاصة في جنبه الايمن رمته ارضاً وقد ظن الصهاينة انهم قضوا عليه وكذلك ظن اصحابه وقد اسفوا عليه وما زالوا يتبادلون النار مع العدو .

اما كمال فان اصابته لم تكن قاتلة واخذ يزحف بهـــدوء الى ان اصبح خلف الصهاينة وكانوا مكشوفين من الخلف ولم يدر في خلدهم ان يأتيهم احـد من الخلف وقد رفع كمال غدارته بهدوء وجلس على ركبتيه وبدأ يطلق النار نحوهم فشاهدهم يتساقطون ارضاً قبل ان ينتبهوا الى الجهة التي تأتي منها النار وقـد بقي خمسة منهم التفتوا الى كمال واخذوا يطلقون النـار نحوه فاحس باصابة اخرى في ذراعه ولكنه تمكن من قتل الجنود الباقين لعدم وجود حماية لهم تقيهم من النار الحامية .

اما رفاقه فقد احتاروا بهـذا العمل ولم يعلموا من أين جائتهم هـــذه النجدة السماوية فجاءوا راكضين الى منقذهم وعندما شاهدوا كمال هجموا عليه واخـــذو يقبلونه وكانوا ثلاثة فقط احدهم يجر قدميه جرا والآخران سالمان وفي هذه الاثناء شاهدوا سيارة اسرائيلية مقبلة نحوهم بسرعة مذهلة فاختبأ كمال وطلب من رفـاقه الاختباء وعندما اقتربت السيارة منهم شاهد فيها جندياً صهيونياً واحدا فاطلق كمال النار على عجلات السيارة فداربت جانباً وارتطمت بصخرة كبيرة . فتركها السـائق وترجل رافعاً يديه وهو يطلب الرحمة .

فسأله كمال عن الجهة التي جاء منها وهل يوجد كمين ثاني او توجد قوة خلفـه فرد عليه الجندي مرتبكاً وهو يقول :

انني لوحدي ولا يوجد خلفي احد ولا اعلم بأي كمين ان كان يوجد ارجـــو عفوك ورحمتك .

فرفع كمال غدارته وادار فوهتها نحوه ووضع اصبعه عـــلى الزناد . فارتجف الصهيوني رعباً ولم تعد ركبتاه تستطيعان حمله فسقط ارضاً وهو في اشـــد حالات الهلع وقال لكمال :

ارحمني واتركني فسوف أقول لك خبراً يبهجك . فصاح به كمال قائلا :

ان كان لديك شيء فقله قبل ان افقد السيطرة على اعصابي ؟ فاجابه الجنـــدي الأسرائيلي قائلا .

اني كنت ذاهباً الى القدس لابلاغ الحاكم العسكري فيهـا بنبأ قدوم ما يقارب الاربعين فدائياً بدورية ضخمة على بعد خمسة كيلو مترات من هنا وقـــد زرعنا لهم حقلا كبيراً من الالغام ونظراً لقلة عددنا فقد ارسلوني الى الحاكم العسكري لاخبره بالحـادث .

فسأله كمال عن اسم الكتيبة التي يعمل بها وعن اسمه واسم قائد الكتيبة وبعض الاسماء الاخرى وطلب منه ان يخلع ملابسه فلما خلعها ضربه كمال على رأسه باخمص الغدارة بدلا من ان يقتله وسقط الجندي مغمى عليه .

طلب كمال من رفاقه الذهاب بالسرعة الممكنة الى اقرب قاعدة للاتصال بالدورية واعلامها بكشف خطتها .

وعندما سألوه ان يأتي معهم رفض وقال سوف اذهب الى القدس وارسل الجنود الصهاينة ليقعوا بحقل الالغام الذي زرع لرفاقنا . ثم ارتدى ثياب الجندي الصهيوني ولطخ وجهه وشعره بالدماء المتدفقة من جروحه . ثم جلس خلف مقود السيارة بعد ان غير العجلة التي سبق ان ثقبتها رصاصته مع رفاقه . وقد انطلق نحو مدينة القدس وكاد مرتين ان يخرج من الطريق ويصطدم بالحفر التي على جانبي الشارع من كثرة ألمه نتيجة للجراح التي اصيب بها .

دخل القدس وسيارته تترنح يميناً وشمالا وتوجه مباشرة نحو مقر الحاكم العسكري وامام المقر ضغط على الفرامل وحاول النهوض من خلف المقود فلم يتمكن فتقدم منه الحراس وعندما شاهدوا جروحه اخذوا ينادون اصحابهم بسرعة وطلبوا منهم نقله الى اقرب مستشفى ولكنه اشار اليهم واخبرهم بكلمات مغتصبة انه يرغب برؤية الحاكم العسكري للمدينة. فذهب احدهم مسرعاً الى الحاكم العسكري.

جاء الحاكم العسكري لمدينة القدس راكضاً نحو الجريح وعندما شاهد ملابسه واشارة كتيبته صاح بخوف .

ماذا حل بالكتيبة وماذا حل بابني ؟

فاجابه كمال بصوت متقطع وهو يحاول ان يجعل لهجته مشابهة للهجاتهم وعلم ان الجروح تشفع له ان اخطأ :

ان الكتيبة بخير وكذلك ابنك وهم يطلبون النجدة بعد ان نصبوا كميناً للمخربين وقد وصلتهم انباء مؤكدة من قيام ما يزيد على مائة مخرب سوف يداهمون بعض المستعمرات ولقد جئت مع احد الضباط وخمسة جنود لكي نطلعكم على الخطة التي رسمناها ونطلب مساعدتكم ولكن دورية المخربين اعترضت لنا في الطريق وقتل جميع اصحابي ولقد بلغني الضابط قبل ان يموت ان اخبرك بمفصل خطة الكتيبة . ثم اخذ يشرح له خطة من اختراعه وطلب ارسال ما يزيد على المائة جندي الى المنطقة التي زرع فيها الصهاينة حقل الالغام للفدائيين .

وقد أمر الحاكم العسكري بتنفيذ ما قاله له كمال بسرعة بدون ان يفكر به لان ابنه كان احد ضباط الكتيبة .

وما ان انهى كمال حديثه حتى شاهد كلارا مقبلة نحوهم فقال لنفسه (الآن يمكن اثبات اخلاص كلارا) .

تقدمت كلارا من الواقفين وبعـد ان حيت الحاكم العسكري الذي استقبلها بارتباك وقال لها :

عزيزتي كلارا يجب ان ننجد خطيبك بسرعة فان كتيبته قد حاصرها المخربون وقد جاءنا هذا الجندي بهذه الاخبار واشار الى كمال فنظرت اليه كـلارا واخذت تتفحصه وما ان التقت نظراتهما حتى شاهد ان جسمها ارتعد من اخمص قدميها حتى قمة رأسها ولقد عزا الجميع ذلك خوفاً على خطيبها وهو ابن الحاكم العسكري .

تقدمت كلارا من كمال .

ثم خاطبت الحاكم العسكري قائلة :

اتخذ الاجراءات اللازمة وارسل هذا الجندي الى المستشفى بسرعة قبل ان يفقد دمه سأذهب بصحبته مع جنديين .

فامر الحاكم جنديين بمرافقتها وقد جلست هي مع كمال وسط سيارة الاسعاف التي جاءتهم مسرعة .

انطلق الجميع كل الى جهته فتوجه الحاكم العسكري لاصـدار اوامره بتنفيذ ما قاله له كمال حرفياً اما سيارة الاسعـاف فقد نقلت كمـال بسرعة الى المستشفى وما ان غادروا السيارة حتى ذهبت كلارا راكضة نحو الطبيب وطلبت منـه اجراء عملية جراحية لكمال بسرعة ولقد دامت العملية ساعة كاملة بعدها عادت اليهم الثقة بنجاته فامرتهم كلارا ان يحملوه الى غرفته وقد اختارت له غرفة جانبية وما ان تركوه وخرجوا حتى فتحت النافذة الخلفيـة للغرفة بعد ان اتصلت بسائق سيارتهـا واتفقت معه على خطة مفادها تهريب كمال من المستشفي خوفاً من ان تنكشف خدعته .

وقد تم لها ما ارادت واستطاعت بمعاونة السائق ان تضـع كمال فى سيارتها

الخاصة ونقلته الى دار كانت قد اشترتها فى مكان منعزل وقد وفرت فيها كافة وسائل الراحة وضعت كمال في سرير وثير وهو لا يزال مخدرا من اثر العملية الجراحية.

وبعد اربعة ساعات كاملة فتح كمال عينيه واخذ ينظر حوله وقد تعجب من السقف وجوانب الغرفة واحتار اين هو وقد تذكر الحادثة دخلت عليه كلارا في هذه الاثناء وعندما شاهدها حاول ان يتحرك ولكنها منعته من ذلك قائلة :

لا تتحرك يا حبيبي سوف اخبرك بكل شيء لقد انفجر حقل الغام كبير جداً وقتل ثمانين جندياً وضابط واصيب خمسة وثلاثون بجروح خطيرة كما قامت دورية للفدائيين بالاغارة على كتيبة كاملة قتلوا وجرحوا ستين جندياً وضابط وفيها من ضمن الجرحى خطيبي ابن الحاكم العسكري والآن اهدأ.

فابتسم كمال وقال :

ما هي قصة خطيبك . . . ولكنها قاطعته قائلة :

ألم اقل لك اهدأ وسوف اخبرك بكل شيء انك ممنوع من الكلام ثلاثة أيام بلياليها. ان قصة خطيبي هذا فرضت علي ولكني اتخذتها اداة للانتقام والتسلية. فلقد تمت الخطوبة بين والدي والحاكم العسكري ولم أكن اعلم بشيء. وعندما علمت رفضت ذلك. وتتذكر ساعة رأيتك في اليوم الاول فى السجن فلقد اتصلت بالحاكم العسكري وطلبت منه ان يأمر مدير السجن بنقلك الى المستشفى ولكنه اصر على ان اقبل بخطوبة ابنه اولا ولقد اضطررت الى ذلك وبعد ذلك اليوم اتخذت هذا الخطيب اداة للسخرية من الصهاينة انفسهم.

والآن اطلب منك ان تنام يا حبيبي.

وربتت بيدها على جبينه وقبلته قبلة سريعة نام على اثرها نوماً عميقاً.

اخذت كلارا تعتني بكمال عناية فائقة وقد ثبت لديه انها مخلصة فى حبه. وقد

ضحك كثيرا عندما اخبرته بالطريقة التي خطفته بها . وكيف حوسب مدير المستشفى على اهماله وقد قلبوا القدس في التفتيش عنه .

واخيراً وبعد علاج طويل استطاع ان يتحرك من السرير ويمشي داخل الغرفة وفي احد الايام سأل كلارا قائلا :

عزيزتي كلارا اريد ان اعلم ما الذي دفعك لتقفي هذا الموقف من قضيتنا ؟

اجابته قائلة :

عزيزي كمال توجد لذلك عدة اسباب واني سوف اذكر لك اهم سببين منهما اولهما : لقد اطلعت على حقيقة الصهاينه وعلمت كم هو الفرق بين اليهودية كديانة وبين الصهيونية كعنصرية وشاهدت بأم عيني كيف يخدع الصهاينة اليهود في مختلف انحاء العالم ويصورون لهم الحقيقة كذباً والكذب حقيقة ويأتي هؤلاء الى فلسطين فرحين ولكنهم هنا يصطدمون بالواقع والحقيقة في الوقت الذي اصبحوا فيه تحت سيطرة الصهاينة واصبحوا امام الامر الواقع . ولذا اريد ان انبه هؤلاء الى الحقيقة المرة والسراب المخدوعين به اما السبب الثاني فهو حبك وعلمي بأنك تدافع عن قضية حقيقية وعن وطن مسلوب ولو لم تكن على حق فى كفاحك لما ساعدتك حتى لو كنت احبك أتتصور اني اخون بلدي وأهلي فى سبيل الحب كلا يا عزيزي .

اجابها كمال قائلا :

لقد صدق ظني يا عزيزتي فيك فهذا الذي كان يراود خيالي وافكاري وكنت اعلم ان الشعور اليهودي سيثور يوماً ضد التعصب الصهيوني اننا كنا نعيش جنباً الى جنب مع اليهود في فلسطين لمئات السنين التي خلت بهدوء وسعادة ولم يكدر صفو الجميع مكدر . الى ان زرعت الدول الاستعمارية الافكار الصهيونية فى بعض افكار اليهود

والعاطلين وانخدع بهم الكثير وكانت هذه النتيجة انا لن نرفض في يوم من الايام ان نعيش مع اليهود في وطن واحد ولكننا نرفض ان نعيش مع الصهاينة وشتان بين الاثنين .

وكانت الانباء العالمية تأتيه بواسطة جهاز راديو صغير اما اخبار الفدائيين والاسرائيليين فكانت تأتيه بواسطة كلارا باوقاتها .

وبعد ان قضى اسبوعين تحسنت صحته كثيراً فطلب من كلارا ان تدبر له طريقة للهرب والخروج من القدس بدون ان يحس الصهاينة فوعدته بذلك .

وفى مساء اليوم الثاني جاءته كلارا مسرعة وقد جلبت له بعض الملابس وطلبت منه ارتدائها . وبعد ان ارتداها امسكت بيده وقادته خارجاً وامام الباب شاهد سيارة امريكية الصنع لم يرها سابقاً عند كلارا .

جلست هي خلف المقود وطلبت منه الجلوس بجانبها فاطاعها وحاول نزع القبعة التي جاءته بها ولكنها منعته من ذلك واعلمته انها بهذه القبعة سوف تطمئن الى سلامته .

وكانت كلارا تقود السيارة ضاحكة وشعرها يتطاير وقد تعجب كمال لهذا الانطلاق والانشراح واخذت تدور داخل شوارع المدينة الى ان وصلت الى احد الشوارع الخالية فمرقت بسيارتها مرور البرق بدون ان يشعر احد بذلك ولا زالت سائرة مدة ساعة من الزمن وهي ساكتة وقد احترم كمال سكوتها الى ان وقفت وكان الظلام قد اقترب وهو ينشر ظلاله حولهم .

التفت كمال الى كلارا وقال لها :

عزيزتي اراك اليوم لست على طبيعتك كنت داخل القدس مرحة جدا والان كئيبة جدا لماذا ؟

اجابته قائلة وقد مسحت دمعة سقطت من عينيها .

حبيبي كمال في بعادك يذهب المرح عني أما داخل القدس فقد كنت مرحة جداً كي ابعد الانتباه عنك ولا ينظر اليك احد . اما كآبتي الآن فهي لفراقك وان قلبي يحدثني بالشقاء يا عزيزي .

اجابها كمال قائلا :

كلارا سأعود اليك سريعاً يا حبيبتي فلا تحزني ابدا .

ثم ترجل من السيارة وكذلك عملت كلارا فتقدم منها وقبلها قبلة طويلة اودعها غرامه وقال لها .

عودي يا عزيزتي قبل ان يزداد الظلام ويصعب عليك دخول المدينة بسلام .

فركبت سيارتها وعادت على عقبيها بعد ان رفعت يدها مودعة . اما كمال فانه انطلق من ذلك المكان الى احدى قواعد الفدائيين داخل الارض المحتلة . وقد استقبلوه بفرح لا يوصف وهنأوه بالنجاة . وقد قص عليهم كل شيء . ومن هناك التحق بالقيادة . وفي مقر القيادة العليا اطلعهم على كل كبيرة وصغيرة مر بها في القدس . وقد شكر الجميع لكلارا جهودها واخلاصها .

وبعد ثلاثة أيام طلبت القيادة العليا من كمال ان يلتحق بالقدس ويكون على اتصال برفاقهم هناك لاعتقال ثلاثة منهم وقلة الانباء التي ترد هم من داخل المدينة .

فرح كمال كثيراً بهذه المأمورية وانطلق مع احدى الدوريات الذاهبة الى مقربة من القدس وجلس في مكان اثري كان قد زارة عدة مرات مع كلارا وتم الاتفاق بينهما ان تأتي كلارا خلال الايام التي يذهب فيها كمال الى هذا المكان في الساعة الخامسة مساءا تنتظر حضوره وكانت الساعة قد قاربت الثالثة وجلس في مكان يشرف على الطريق وبدأ ينتظر وفي تمام الساعة الخامسة شاهد كلارا مقبلة بسيارتها نحو

المكان . وعندما اقتربت حاول كمال الخروج والوقوف امامها ولكنه شـاهد سيارة اخرى مقبلة نحوهم بسرعه مذهلة فبقي في مخبأه .

ترجلت كلارا من سيارتها عندما اقتربت من المكان ودخلت الى البناية القديمة وجلست على صخرة لا تبعد عن كمال سوى عدة امتار وحاول ان يناديها ولكنه أصر على معرفة ما يوجد في السيارة الاخرى وقد وصلت في هـذه الاثناء ووقفت بجانب سيارة كلارا وترجـل منها شاب انيق اخذ ينظر الى سيارة كلارا ويبتسم ثم دخل الى المكان خلف كلارا وعندما شاهدها تقدم نحوها وقال :

هلو كلارا كنت مارا فرأيت سيارتك واردت ان احييك ؟

شاهد كمال وجه كلارا قد امتقع عندما رأته وقالت بارتباك ظاهر .

هلو مستر عباس . اردت ان اتنشق هواء نقياً فحضرت الى هنا . اقترب المدعـو عباس من كلارا وجلس بجانبها وهو لا يزال ينظر اليها وهي مرتبكة منه واخـيراً قـال .

انها صدفة حسنة يا كلارا التي جعلتني اشاهد سيارتك أليس كذلك ؟

اجابته قائلة :

نعم مستر عباس . . . فقاطعها قائلا :

اتركي الالقاب وناديني باسمي مجردا .

نعم يا سليم انها صدفة حسنة .

ووضع سليم يده حول كتفيها وقال :

أتعلمين يا كلارا كم هو مقدار حبي لك ؟

فاحمر وجهها خجلا وحاولت ان تنهض ولكنـه سحبها نحوه واراد ان يقبلها ولكنها لم تمهله بل دفعته بقوه ممـا جعله يسقط ارضا وقالت . ارى انك اخـذت

تتمادى، كنت احترمك ولكنك رجل حقير ابتعدعن طريقي .

اما هو فقد نهض وهو يضحك عالياً ويقول :

هكذا اذن نحن لوحدنا يا كلارا ولن ينقذك احد من بين يدي فسوف أنالك اليـــوم .

وتقدم منها محاولا تطويقها بذراعيه ولكنها اخذت تتراجع وتنظر حولها كأنها تنتظر نجدة .

وكان كمال لا يزال ينظر الى هذا الموقف وقد تأكد لديه ان هذا الرجل والذي اسمه سليم عباس ينوي الاعتداء فعلا على كلارا فخرج من مكانه وتقدم من كلارا وصاح :

لا تخافي يا كلارا انني هنا لألقن هذا الخنزير درساً قاسياً .

فلما شاهده الرجل ارتبك ونظر نحو كلارا وقال :

اذن لك عشيق هنا .

فصاح به كمال :

خسئت أيها الحقير اقفل فمك قبل ان اقفله نهائياً .

مد الرجل يده بسرعة واخرج مسدسا من جيبه ولكن كمال كان قد وجه نحوه مسدسه الكبير وقال له :

عند اقل حركة سوف تكون جثة هامدة اترك هذا المسدس .

فترك الرجل مسدسه يسقط ارضا ونظر بحقد نحو كمال .

تقدم منه كمال وبهدوء نادر رفع يده ولطمه بظهر يده لطمة جعلته يرجع الى الخلف خطوتين قذف على اثرها كمال مسدسه ارضا وهجم نحوه واخـــذ يلكمه ويرفسه بدون شعور الى ان تركه يسقط ارضا والدماء الغزيرة تسيل من وجهه وفمه.

وتقدم كمال من كلارا وقال لها :

من هذا الحقير يا كلارا ؟

وقبل ان تجيبه كلارا كان هذا قـــد زحف نحو مسدسه الملقى ارضا فصاحت كلارا بسرعة .

كمال . كمال . . انتبه .

ادار كمال بصره بسرعة نحو الرجل وشاهده قد اقترب من مسدسه وكاد ان يقبض عليه بيده وبقفزة واحدة اصبح كمال بجانب مسدسه فرفعه بسرعة الـ برق واطلق النار على رأس الرجل جندله ارضا ثم اقترب منه وعندما تأكد من موته عاد الى كلارا واخذها جانباً فقالت له كلارا جواباً على سؤاله

ان هذا رجل ايراني اسمه سليم عباس جاء الى هنا للعمل تحت امرة الصهاينة وهو يعمل طياراً .

فاندهش كمال وقال :

طيار ايراني يعمل مع العصابات ؟ اذن يستحق الموت .

وقال لكلارا : لنعد يا حبيبتي .

ولكنها كانت لا تزال تنظر نحو الجثة واخيراً قالت له :

لدي فكرة لاشرحها لك .

ثم تقدمت من الجثة ومدت يدها باشمئزاز الى جيب الجثة ولكن كمال استوقفها قائـــلا :

مهلك يا كلارا ماذا تريدين من القتيل ؟ هل يوجد في جيوبه شيء ما هو ؟

قالت كلارا :

انظر الى جواز سفره لتعلم خطتي .

فمد كمال يده الى جيب القتيل واخرج جوازه وفتحه لينظر بداخله وقد استوقفته صورة القتيل في جوازه ونظر اليها ملياً واخذت كلارا تنظر مثله الى الصورة واخيراً قالت له :

عزيزي كمال ان هذه الصورة قريبة الشبه بك خاصة اذا حلقت شاربيك أليس كذلك ؟

استمر كمال يتفحص الصورة وعلم صدق كلارا فيما قالت واجابها . نعم يا عزيزتي وان فلسطين تستحق ان اضحي بشاربي سأحلقها .

وأكمل حديثه قائلا :

لقد علمت خطتك واني اشكرك عليها والآن اذهبي للجلوس في سيارتك واتركيني اقوم بمراسيم هذا المسكين .

فتركته كلارا وعادت الى سيارتها . اما هو فقد نزع الملابس التي كان يرتديها القتيل عدا القميص الذي غمرته الدماء ثم رفع الجثة عن الارض وسار بها الى حفرة قريبة ووضعها فيها ووضع التراب والاحجار فوقها واخرج بعد ذلك موسى للحلاقة طويلة كان يحملها معه اكثر الاوقات ورفع نظارات القتيل السوداء التي اخرجها من جيبه بأحدى يديه فشاهد صورته فيها وبهذا تمكن من حلق شاربيه واصبح حليق الوجه . ارتدى بعد ذلك ملابس القتيل وكان جسماهما بنفس الطول ووضع النظارات فوق عينيه وتقدم الى ناحية كلارا . وما ان شاهدته كلارا حتى ارتعدت ورجعت خطوتين الى الوراء ولولا الابتسامة التي ظهرت على شفتيه لظنته القتيل وقالت له لاهثة :

ظننتك هو في البدء . ما أقرب الشبه بينكما ولا يفرق ذلك سوى المقربين .

فضحك كمال وقال :

الان خوفنا من المقربين اليه .

اجابته ضاحكة :

لا يوجد لديه مقربون في القدس ان مقره فى تل ابيب ولقد حضر الى هنا فى اجازة امدها ثلاثون يوماً يقضيها وحيداً وقد نزل في فندق (الامبادور) . سنذهب لاخذ امتعته الى دارنا علنا نستفيد منها ولكي لا يشعر احد باختفائه .

فاطاعها كمال وركب سيارة القتيل كما ركبت هي سيارتها ودارا على عقبيهما عائدين الى القدس . توجها مباشرة الى الفندق وكانت كلارا تسير امامه وهو خلفها وقد اوقفا سيارتيهما امام الفندق فترجل كمال ودخل وكلارا بجانبه اتجه مباشرة نحو كاتب الفندق ومد يده اليه بهدوء فتناول الكاتب احد المفاتيح المعلقة فى اللوحة بجانبه فاخذه كمال بهدوء واتجه نحو المصعد مع كلارا . نظر الى المفتاح فشاهد رقم الغرفة هو ٢٣ علم انها فى الطابق الاول فغادر المصعد واخذ ينظر الى ارقام الغرف خلسة خوفاً ان يجلب الانتباه واخيراً رأى رقم (٢٣) فاولج المفتاح في الباب ودفعه بسرعة ثم اتجه الى الحقائب مباشرة اخذ يحزمها بمساعدة كلارا وما ان انتهيا حتى رفع سماعة التلفون وخاطب كاتب الفندق قائلا :

جهز القائمة سوف اغادر الفندق الان وارسل لي احد الخدم بسرعة .

وخلال لحظات كان الخادم يطرق الباب فصاح به كمال (ادخل) وامره بحمل الحقائب ثم اتجه هو وكلارا نازلين فى المصعد . غادرا الفندق بعد ان دفع القائمة وانطلق بسيارته مع كلارا الى دارهما المعزولة .

قضيا ليلتهما بفرح وسعادة وكمال مرتاح الى شخصيته الجديدة التي تمكنه من الدخول اينما شاء .

وفي الصباح انطلق مع كلارا يتجولان في مدينة القدس عادا ظهرا الى دارهما

وبعد ان اكلا طعام الغداء الذي جهزته كلارا بيديها التفتت الى كمال وقالت له :

عزيزي كمال لقد تمكنت من اقناع خمسة من الشباب اليهود الذين حضروا الى القدس وهم الان ناقمون على الحكم الصهيوني نقمة شديدة هل ترغب في التعرف اليهم .

اجابها قائلا :

كما تشائين ولكن هل لك ثقة بهم ؟

قالت : نعم .

ثم غادرته وانطلقت في سيارتها وبقي هو في الدار وبعد ساعة من الزمن طرق سمعه صوت سيارة كلارا قادماً نحوه ووصله صوت جرس الباب يقرع فتقدم منه وفتحه فرأى كلارا ومعها ثلاثة شباب وفتاتين دخلوا جميعاً بسرعة وما ان اصبحوا داخل الدار حتى التفتت كلارا الى كمال وقالت :

اقدم لك اصدقائي وهم حسب تسلسل وقوفهم روبرت ساسون وحزقيل داود والانسة ساره شمعون وماري يوشاها ومرغريت ادمز . والتفتت اليهم وقالت :

اقدم لكي صديقي كمال عبد الجبار فلسطيني .

فصاح الجميع بصوت واحد (فدائي) ابتسم كمال وقال لهم نعم فاخذوا يتفحصونه . طلبت كلارا منهم الجلوس وذهبت لجلب بعض المشروبات .

قالت له كلارا بعد ان عادت وفي يدها زجاجتان وضعتهما على المائدة وأشارت الى احدى الفتيات لجلب الكؤوس .

عزيزي كمال ان هؤلاء الاخوة حضروا الى فلسطين وقد صورت لهم الدعاية الصهيونية انهم سوف يذهبون الى بلاد متأخرة جدا والى ارض هي ملك ابائهم واجدادهم وهم يقومون بانارة الطريق امام شعوب الشرق الاوسط نظرا لتأخرها

وما شابه ذلك من الكلام الذي تنعقه الدعاية الصهيونية .

ولكنهم عندما حضروا الى هنا اصطدموا بالواقع وتغيرت الصورة التي رسموها باذهانهم لدولة اسرائيل وتغيرت كافة المفاهيم التي كانت لديهم من غرض الصهاينة وهدفهم وهم الان على استعداد كامل للعمل على توعية ابناء جنسهم من اليهود واظهار الحقيقة امامهم من غير رتوش .

ونطلب منك نظرا لجهلنا بالكثير من تاريخ فلسطين وأن تذكر لنا موجزاً عنه .

ابتسم كمال وقال :

أيها الاخوة لقد صدق ظننا فى انه يأتي يوم يدرك اليهود حقيقة الصهاينة ويوقفونهم عند حدهم وان هذا متمثل الان بكم . اعزائي ان تاريخ فلسطين تاريخ طويل مليء بالمآسي والمظالم انه تاريخ شعب شرد في بقاع الارض وهو تاريخ امة غلبت على امرها في وقت من الاوقات .

ولكني سأوجز لكم المراحل والنكبات والمآسي التي مر بها شعب فلسطين وسكت لحظة ليجمع شتات افكاره ثم اردف قائلا :

ان اول هذا التاريخ يبتدأ باليوم المشؤوم وهو اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٧ م يوم أعلن وزير خارجية بريطانيا (بلفور) في خطاب موجه الى الصهيوني (لورد روتشلد) واعدا اياه بمنح وطن لليهود فى أرض فلسطين . وعلماً بأن فلسطين اي شعب فلسطين كان متكوناً من المسلمين واليهود والمسيحيين والكل يعيشون كأنهم اخوة متحابون ومخلصون . هكذا وبكل سهولة وبكرم حاتمي يتبرع وزير خارجية بريطاني بأرض شعب سكن عليها ما يزيد على ٦٠٠٠ ق . م لشذاذ الافاق من أفراد العصابات على مختلف اجناسهم بحجة انهم صهاينة وفى الحقيقة لا يمت اكثرهم الى الصهيونية بصلة . وهذا هو مبلغ الكرم الانكليزي . بهذا اليوم الذي سمي (وعد

بلفور) ابتدأ تاريخ فلسطين الاسود هذا اليوم الذي سيظل مدى الدهر لطخة عارفي قمة التاج البريطاني ووصمة فى جبين السياسة البريطانية الخرقاء .

وكان الجهل في ذلك الوقت مسيطراً على الامة العربية وهي مشتتة ومفرقة الكلمة وقد ثار بعض العرب ولكن اصواتهم تاهت وسط صوت الاستعمار واعوانه .

وفي عام ١٩٣٦ م بدأ شعور الشعب الفلسطيني يلمس واقـــع الحقيقة واعلنت الثورة فى هذا العام واعلن الاضراب الشعبي الذي دام ستة اشهر ولم يصل الى شيء ولكنه مثل لاول مرة الصمود العربي واجتماع كلمة الشعب واستمر الضغط مـــن قبل العصابات الصهيونية التي جاءت الى فلسطين والتي كانت تمثل اخطر عصابات شيكاغو ونيويورك ومجرمي لندن . وكان همهم منصباً على تعذيب وتخويف السكان العرب واجبارهم على ترك ديارهم والهجرة منها بعد ان يذوقوا مر العذاب وينالوا من ايدي العصابات الصهيونية مختلف انواع التعذيب والاكراه .

وكانت أهم هذه العصابات هي الهاجاناه وشتيرن وغيرها .

وفي عام ١٩٤٨ م حلت النكبة الكبرى بابناء فلسطين فان بريطانيا التي كانت قد وضعت فلسطين تحت انتدابها اخذت تسحب جيوشها بهدوء وتسلم كل موقع تنسحب منه الى العصابات الصهيونية واخيرا اعلنت انها ترفع وصايتها عن فلسطين بتاريخ ١٩٤٨/٥/١٥ م واعلن المجلس الوطني للحركة الصهيونية اقامة دويلة للعصابات تحت اسم (اسرائيل) .

وفي نفس اليوم دخلت الجيوش العربية الى فلسطين لتحريرها من ايدي العصابات الصهيونية . ولكن تأخر الشعب العربي وخيانة بعض الحكام العرب في ذلك الوقت وتسايرهم مع حكام الغرب وتفرق قيادة الجيوش العربيـــة اضاعت فرصة اعادة الاراضي السليبة ولا تزال القصص تروي عـن العتاد الفاسد الذي سلح به بعض

الحكام العرب جيوشهم .

وفي هذا العام شرد الالاف بل الملايين الفلسطينيين الذين سقطوا لهول الصدمة ولم يتمكنوا من المقاومة وبقي القسم الاخر تحت نير الحكم البغيض يقاسون العذاب والذل .

ثم حل عام ١٩٥٦ م وفيه قامت دويلة العصابات الصهيونية بالتعاون مع اكبر دولتين وهما فرنسا وبريطانيا بالاعتداء على مصر الشقيقة وذلك لان مشعل الحرية انير فيها عام ١٩٥٢ م وابتدأت بسلوك الطريق القويم لخير الامة العربية وفي سبيل استعمال سيادتها على حقوقها كاملة بدون اشراف من الاستعمار .

وكان العدوان قوياً ومصر دولة نامية ولكن بالرغم من ذلك فلقد اثبتت لدول العدوان ان الامة العربية ابية وصامدة فلقد صمد شعب الجمهورية العربية المتحدة وقاتل الدول الكبرى بعزم لا يلين الى ان دحرهم بعزمه وقوة جنانه ولقد وقفت الامة العربية عن بكرة ابيها مؤيدة لاشقائها في مصر .

واخيراً جاء عدوان ١٩٦٧ م وكلكم تعلمون ما حل في هذا العام هذا ايها الاخوة هو موجز لتاريخ فلسطين وتوجد فيه آلاف من المآسي التي يمكن كتابة مجلد كامل عن كل واحدة منها .

ثم سرد عليهم بعد ذلك قصة نكبته هو وكيف قتل افراد عائلته امام عينيه ووضعوا في البئر في قرية دير ياسين وكيف عومل عمه والكثير من المآسي التي شاهدها حتى شعر بانهم اخذوا يبكون . ثم نهض احد الشابين وقال :

نحن في غاية الاسف لجهلنا بهذه الحقائق يا اخي وان الذنب يعود الى الدعاية العربية ولكننا نعدكم باننا سنقف صفاً واحدا وسننير الطريق امام اخواننا اليهود وليعيشوا في دولة واحدة مع العرب من غير صهاينة . وان كفاحنا قد بدأ ايها الاخ .

فشكره كمال وقال :

اعزائي ان كفاح الامم يتمثل في بداية الكفـاح فان قام على سواعد قوية وافكار نيرة فله النصر مهما طال المدى فبداية الكفاح تحدد نتيجته وان بداية كفاحنا الفعلي فوق ارضنا بدأ عام ١٩٦٥ م ولا زال وهو كـــل يوم يزداد قوة وصلابة . فنرجو لكفاحكم النصر على الصهاينة .

ونتمنى ان يأتي اليوم الذي يعيش فيه العربي واليهودي فى فلسطين بدولة من غير صهاينة .

واخيراً طلب رفاق كلارا السماح لهم بالانصراف ونهضوا جميعاً منصرفين بعد ان ودعوا كمال وكلارا شاكرين .

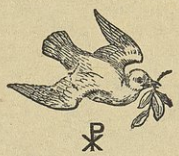

الفصل الثامن

الخاتمـــة

وفي مساء اليوم الثاني استمع الى رسالة موجهة اليه مـن صوت العاصفة تأمره بالذهاب الى احدى معسكرات العدو القريبة . التفت كمال نحو كلارا وقال لها :

عزيزتي كلارا ان تعليمات القيادة تطلب مني الذهاب الى معسكر للعدو عـلى تلة النجار شمال شرقي اريحا لرؤية تحصيناته فما العمل ؟ سكتت كلارا ولم تجبـه بل اخذت تفكر وبعد فترة طويلة نهضت وقالت له :

تتذكر الشخص الذي رأيناه مساء امس عندما كنا في السيارة انه قائـد طائرة هيلوكبتر ولقد اخذني فى احـد الايام بجولة بطائرته بعد ان اخذ موافقة الحاكم العسكري وسأذهب الآن الى الحاكم العسكري لاخذ موافقته واعتقد انـي اجد قائد الهيلوكبتر في النادي .

ثم انطلقت خارجة وجلس هو ينتظر حضورها .

بعد ان مر على ذهابها ما يقارب الساعتين سمع طرقاً على الباب فنهض ليفتحه راكضا . وما ان فتح الباب حتى قفزت كلارا وطوقت عنقه بذراعيها واخذت تقبله بفرح واخيراً قالت بعد ان حملها بين ذراعيه كما يحمل طفلة صغيرة ووضعها فوق المقعد الكبير وجلس بجانبها . عزيزي كمال لقد تم لك ما تمنيته لقد عثرت عـلى الحاكم العسكري فى النادي كما رأيت صاحبنا الطيار هنالك وطلبت منه ان يقودني فى جولة حول جميع الاماكن الجميلة وخاصة المرتفعة وقد وافق كما انه ذاهب الى

مدينة اريحا بمهمة عسكرية وقد طلبت من الحاكم العسكري السماح لي بالذهاب معه فوافق على ذلك واعلمته اني اصطحب احد الاصدقاء .

فطوقها كمال بذراعيه وقبلها من شفتيها وقال :

كيف استطيع شكرك على ذلك يا عزيزتي ؟

اجابته ضاحكة وهي ترد على قبلته بمثلها .

عزيزي كمال لم نتوصل الان الى طريقة توصلنا الى المعسكر الذي نريده لنفكر بطريقة تساعدنا على الهبوط في المعسكر المطلوب .

اخذ كمال يفكر بذلك وبعد لحظة ابتسم وقال لها :

وجدتها يا عزيزتي .

ماذا وجدت يا عزيزي ؟ قالت له كلارا فاجابها قائلا :

وجدت الطريقة التي نستطيع بواسطتها الهبوط في المعسكر . سألته قائلة :

وما هي اخبرني بها ؟

اجابها وقد وضع يده فوق كتفيها قائلا :

عزيزتي عندما نصبح فوق المعسكر المطلوب تتظاهرين بالاغماء الشديد وعلى اثر ذلك اطلب منه الهبوط في المعسكر بحجة البحث عن طبيب فيضطر الى الهبوط وتستمرين فى تمثيلك هذا مدة ساعة او ساعتين نطير بعدها عائدين اليست خطة جيدة ؟

وقد وافقته كلارا على جودتها بأن هزت رأسها موافقة .

وفي صباح اليوم الثاني كان الجميع فى طائرة الهيلوكبتر وهم الطيار قائد الطائرة وكمال وكلارا . وقد قدمت كلارا كمال القائد على انه ضابط ايراني ولم تقل له انه ضابط طيار خوفاً من اكتشاف خطتهما فيما لو سأل القائد كمال سؤالا واحدا حول

الطيران .

واخذت الطائرة تدور بهم فى مختلف الاماكن وكان كمال يسجل في ذاكرته كل شيء يراه وقد خرجت الطائرة من جو القدس ودخلت مجـــال اريحا ولا زالت تجوب بهم الاماكن المهمة . الى ان اصبحوا فوق المعسكر المطلوب فاشـــار كمال لكلارا اشارة صغيرة لم يرها القائد مفادها (اننا وصلنا فابدئي) .

وفى تلك اللحظة اهتز رأس كلارا وقالت تخاطب القائد .

انني لم أعد أرى شيئاً وأحس ان الطائرة اخذت تدور بنا حول نفسها .

فنظر اليها القائد مرتبكا وقال : حافظي على اعصابك يا كـلارا لم يحدث شيء مما تذكرين ؟

وما ان انهى كلامه حـتى سقط رأس كلارا الى الامام فصاح كمال بعد ان احتضنها قائلا :

لقد اغمى عليها أيها القائد انقذها بربك . اهبط هنا قبل أن تموت علنا نجد طبيباً هنا .

فاطاعه القائد بسرعة وهبط بطائرته في وسط المعسكر وقدطوقتهم قوات المعسكر للاستفسار عن سبب هبوطهم . فاطل قائد الطائرة من النافذة التي بجانبه وصاح بهم يطلب منهم جلب الاسعاف بسرعة فذهب احد الجنود راكضاً وبعد لحظات كان اثنان من الجنود قـد وضعا كـلارا فوق سرير متنقل وادخلاها مستوصف المعسكر وكمال والقائد معها وبعد ان اجرى الطبيب الفحص اللازم اخبرهم انها بصحـــة جيدة وقد تحسنت صحتها ولكن لزيادة الاطمئنان يجب عليهم منحها راحـــة لمدة ساعتين ترتاح خلالهما . فوافق كمال على ذلك اما قائـد الطائرة فطلب من كمـال السماح له بالذهاب لاتمام مهمته واخبره انه سوف يعـــود اليهم فى الوقت المحدد

فتركه كمال يذهب . اما هو فقد اخذ يتجول فى المعسكر ويتفحص كل مداخله ومخارجه وعدد جنوده وحراسته وانواع سلاحهم وكل شيء يقع امام عينيه .

ثم عاد الطيار في وقته المحدد فصعد كمال وكلارا الى الطائرة وودعا قائد المعسكر شاكرين .

حلقت بهم الطائرة مرتفعة في الجو وسلكت الطريق الـذي جاءت به عائدة . ترجل كمال وكلارا في المطار وهما يشكران قائد الطائرة وقد ودعته كلارا بابتسامة خلبت لبه وجعلته يقف جامدا لحظات طويلة بعد ان غابت عن عينيه .

فى عصر نفس اليوم خرجا من القدس بسيارة كلارا التي اقلته الى نفس المنطقة السابقة وعادت بعد ان ودعته على أمل اللقاء القريب اما هو فقد انطلق عائـدا الى احدى القواعد القريبة منه ومنها انطلق مع احدى الدوريات الى مقر القيادة العليا وقد نقل اليهم كل ما رآه فى القدس وفى المعسكر . ثم امرته القيادة بأخذ دورية معه والذهاب الى المعسكر المطلوب واعلمته انه سوف يلتقي بدورية اخرى هي من قوات التحرير الشعبية التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية . فخرج كمال لتنفيذ ما أمر به .

وكانت دوريته تتكون من المجموعتين (٢٣٧) و (٢٤٤) .

تحركوا من اماكنهم في الساعة الثالثة صباحاً متوجهين نحو المعسكر وقد التقى كمال بمجموعة قوات التحرير الشعبية قبل ان يصل الى المعسكر بمسافة كيلومترين. وعندما اقتربوا من المعسكر وهو معسكر للعدو يقع على تلة النجار شمال شرقي اريحا وقد وزع كمال قواته حسب الخطة التي كان قـد اعدها في اليوم السابق عندما زار المعسكر مع كلارا .

وقد افتتح هجومه بوحدة الصواريخ التابعة للمجموعة (٢٤٤) فبدأت الصواريخ

تتساقط على معسكر العدو وبعد لحظات اتبعهما بمجموعات اعدها للهجـــوم وهي مكونة من وحدتين للاقتحام كان هو على رأس احداهما وقد اقتحموا المعسكر بعد ان طهروا نقاط الحراسة بواسطة القنابل اليدوية وكان كمال يركض امام افراد دوريته وقد حمل غدارته في يد وكانت يده الاخرى تخرج القنابل اليدوية التي كان متمنطقاً بها ويلقيها على جنود العدو . وقد استطاعوا بهذا الهجوم المفاجيء من ارباك العدو ارباكا شديدا فتمكنوا من تدمير واعطاب جميع آلياته مع ابادة جميع جنوده ابادة تامة كما توصلوا الى حرق عدة منشآت للعدو . وكانت غدارة كمال عند كل زجرة تجندل الجنود الصهاينة .

واخيرا سيطروا على المعسكر سيطره تامة بعد ان قتلوا وجرحوا ما يقارب المائة وعشرين ضابطاً وجندياً صهيونياً ودمروا سيارتي جيب عسكريتين كانتا تحمـــلان مدفعين عيار (١٠٦ مم) وتم تدمير جهاز لاسلكي (٢٢٩) للرصد مركب فـــوق سيارة عسكرية على يد كمال الذي قذفه بقنبلة يدوية .

وكان كمال قد أمر رفاقه بزرع الالغام في الطريق المؤدي الى المعسكر لاستقبال القوات القادمة لنجدتهم وفعلا تم تدمير ثلاث مصفحات للعدو .

وقد انسحب الفدائيون بعد ان حملوا جريحين معهما في حين استمرت مدفعية العدو تقصف الاماكن التي كانوا فيها . وفي مساء نفس اليوم كان ينتظر كـــلارا في مكانهما الاثري الذي اصبح مقبرة للطيار الايراني وقد حضرت اليه كلارا في الساعة الخامسة وهي ليست على ثقة من حضوره ولكنه اخبرها بانه لا يستطيع فراقها طويلا كما انه اراد ان لا يشك احد بغيابه . وقد عادا الى المدينة المقدسة .

قالت له كلارا في اليوم التالي :

لقد اصبح عدد اصحابنا احـد عشر شخصا فقد انضم الينا ستة اشخاص جـدد

ثلاثة منهم من يهود امريكا واثنان من كندا والآخر من ألمانيا الغربية فما رأيك بذلك ؟ اجابها وهو يفكر .

عزيزتي كلارا يجب علينا ان نتأكد قبل كل شيء من اخلاصهم ومن صدقهم .

اجابته كلارا ضاحكة .

ان هذا ما نقوم به فلا يستطيع احد ان يحوز على ثقتنا بسهولة اننا لا نجلب الشخص ما لم نتأكد من اخلاصه لقضيتنا واندفاعه اندفاعاً حقيقياً . سوف تعجب بهم عندما تشاهدهم انهم سيحضرون مساء اليوم وسنقضي سهرة تثقيفية ممتعة .

وقد قضيا يومهما بمرح وسعادة حتى هبوط المساء حيث توافد عليهما اصحابها وقد قدمت له كلارا اصحابها الجدد وكان اربعة منهم شباب واثنين قد جاوزا العقد الرابع من عمرهما وكانا رجلين محترمين اعجب بهما كمال . وبعد ان حضر الجميع وضعت كلارا الكؤوس فوق الموائد وجهزوا ادوات الطرب لابعاد الشبهة عن اجتماعهم فيما لوجاءهم زائر غريب .

ثم نهضت كلارا ووقفت وسط الجميع وقالت :

اعزائي المحترمين لقد عرف بعضكم البعض ولقد شرح لنا السيد كمال في الجلسة الماضية تاريخ فلسطين والان نريد منه ان يشرح لنا تاريخ النضال الفعلي لشعب فلسطين واهداف المنظمات الفدائية ؟ واشارت الى كمال ان يبدأ فتناول كمال كأس ماء ليرطب شفتيه وقال محدثاً الجميع :

اخواتي واخواني ان تاريخ كفاح فلسطين بدأ كما قلت سابقاً بأول ثورة فلسطينية عام ١٩٣٦ م يوم أعلن الشعب الفلسطيني عن بكرة ابيه الاضراب اما الكفاح المسلح لشعب فلسطين فلقد ابتدأت منظمة فتح كفاحها المسلح واعلنت عن تشكيل جناحها العسكري العاصفة بتاريخ ١٩٦٥/١/١ م ولكن بالنظر لضرورة تقويتها

اولا ولصعوبة جمع اشتات الفلسطينيين فكان العمل قليلا قبل نكسة الخامس من حزيران . ولقد اختلف الكفاح منذ النكسة وظهرت فوق أرض فلسطين الكثير من المنظمات الفدائية كل تقاتل على حدى وغاية الجميع تحرير الارض ولكن بعضها تقوده احزاب سياسية والبعض الاخر تبنته بعض الدول العربية وان وحدة هذه المنظمات وصهرها فى قالب واحد ضرورة حتمية وسوف يتم ذلك كما ان وحدة المقاتلين على الارض السليبة حدث اكثر من مرة وقد تم اللقاء بين قوات التحرير الفلسطينية وبين فتح وان العملية التي تمت قبل يومين كانت بتعاون الاثنين . ولكن كما قلت ان الثورة الفلسطينية التي اعلنت عام ١٩٦٥ م لم يكن الشعب العربي ولا الشعب الفلسطيني يستطيع ان يمنحها ثقته الكاملة ولكن بعد عام ١٩٦٧ م وبعد معركة الكرامة خاصة اصبح الشعب الفلسطيني والامة العربية اكثر ثقة واملا . كما ان كفاحنا المسلح هذا يعتبر فى الوقت الحاضر بداية كفاح وفوائده كثيرة ولكن يجب علينا ان نبين مسيرته للجميع بصورة واضحة .

ومن هذا نستطيع ان نتبين ان من اهم الاسباب التي عولجت بها قضيتنا خلال السنين الماضية وكانت خاطئة هي اولا . ابتعاد الجماهير العربية بصورة عامة والجماهير الفلسطينية بصورة خاصة عن ميدان المعركة . وثانياً هو اقتناع الحكومات العربية بأن الكيان الصهيوني لا يمكن ان يزول إلا من خلال حرب سريعة خاطفة تشنها الجيوش العربية على دويلة العصابات فتقوض هذا الكيان وتقضي عليه .

ان هذا السبب الاخير خطأ دام طويلا وهو مرتبط بالخطأ الاول وذلك لانه لو ان الجيوش العربية انتصرت فى معركة الخامس من حزيران فماذا كان يحدث ؟ هل كان بامكانها تصفية الكيان الصهيوني بالكامل دولياً واجتماعياً واقتصادياً . ان احتلال الجيوش العربية لفلسطين لا ينهي على اسرائيل نهائياً كدولة معترف بها ولان

الجيوش العربية لا تستطيع التصرف بوحشية كما تصرفت العصابات الصهيونية فلا يمكن ان تستعمل القتل الجماعي او الابادة التامة وسوف يأتي الضغط الدولي لاجباره على الانسحاب ثم تتبعه الضغوط الاقتصادية والسياسية والعسكرية وغيرها من الوسائل . ولكن اضافة الى هذا النصر لو كانت هناك قوات فلسطينية منظمة ومشتركة في المعركة ومتكونة من الشعب الفلسطيني كله فانها ستستلم كل شيء وتعيده الى نصابه كما كان وبعد ان يتم القضاء على الكيان الصهيوني يستطيع اليهودي والعربي ان يعيشا بحرية في ظل دولة فلسطينية واحدة .

ان ثورة الكفاح المسلح لها ثلاث خطوات مرحلية وهي :

اولا حرب الفدائيين وثانيا حرب العصابات واخيراً حرب التحرير الشعبية ونحن الان في بداية الكفاح .

ويضع العدو الصهيوني وبعض المتشككين في العمل الفدائي مراحل للعراقيل ومنها ان العدو يتفوق باعداده وبجيشه وقواته على اعداد وقوات الفدائيين وللاجابة على هذا نقول ان الشعب الفلسطيني ما هو الا طليعة لشعوب الامة العربية جمعاء وان قوة الفدائيين يضاف اليها قوة الجيوش العربية كما ان التكتيك والتنظيم كفيلان بتحطيم خرافة القوة .

ويقولون ان هذا العمل سيدفع دويلة العصابات الى البطش بالبقية الباقية من الشعب الفلسطيني ونحن نقول لهم ان التضحية واجبة على كل فلسطيني .

ويقولون ايضا ان طبيعة ارض فلسطين غير مناسبة للكفاح المسلح وحرب العصابات وليست كفيتنام وغيرها ونجيبهم نحن باننا سنجد الطريق الذي نسلكه في كفاحنا كما ان الكفاح المسلح في اي بلد يختلف عن الاخر فلكل أرض خصائص تتميز بها عن غيرها . وستكون ثورة ناجحة فيما لو استفدنا من هذه الظروف وسنقدم

الفدائيين على مذبح الحرية حتى يوم النصر .

والذي نطلبه منكم ان تعلموه وان تذكروه لكل يهود العالم هو اننا لا نقاتل يهود العالم ولسنا فى حرب ضد الديانة اليهودية ولكننا في حرب ضد العصابات الصهيونية التي سلبت ارضنا وشتت شعبنا وان هذه الصهيونية هي وليدة النازية المندثرة وخليفتها على الارض أريد ان اسئلكم وأرجو ان اتلقى جوابكم بصراحة تامة . ما هو العمل الذي قامت به دويلة اسرائيل للبشرية واليهود في العالم اجمع ؟

وبعد ان سكت كمال أخذ يدير نظراته في الجالسين فردا فردا وكان الجميع ساكتين بذهول غريب وهم يستمعون الى هذه المحاضرة الطويلة . واخيراً نهض احدهم وكان أحد الرجلين الكبيرين وقال لكمال :

ان الدولة الاسرائيلية منذ ان تأسست لحد الآن اخذت من كل فرد يهودي اكثر مما قدمته له ولقد سحرت الجميع بدعاية تشكيل وطن لهم من النيل للفرات ولكن الذي اقوله هو هل ان الاسرائيليين يعلمون ما هو الوطن ؟ ان الوطن بنظري هو المكان او البقعة التي يولد فيها الشخص وكان قد ولد فيها والده قبله ويستطيع فيه ان يجد العمل الذي يقتات فيه وانا شخصياً ولدت في امريكا ووالدي كذلك فيها وعليه اعتبر ان وطني هو امريكا وقد كنت فى سعادة كاملة وحالتي الاقتصادية جيدة جدا وفي زيادة مستمرة وقد تزوجت ورزقت بفتاتين . وحالتي الاجتماعية والفكرية كذلك جيدة الى اليوم الذي اجبرتني فتاتاي على الحضور الى هنا للعيش فيما كانوا ينادون به ويقولون وطننا وهما الان فى غاية الاسف مثلي لانخداعنا بالدعاية الصهيونية وفي أقرب فرصة سنعود هرباً .

وبعد ان انهى كلامه نهض الاخر وكان يبدو في نهاية العقد الرابع من عمره ونظر اليهم جميعاً وقال :

انني من اهالي فلسطين ومن اليهود الذين كانوا يقيمون هنا قبل مجيء هذه الدولة لقد كنت ابلغ الثلاثين من عمري يوم تأسست هـــذه الدولة ولقد اندفعت خلف نداء العصابات التي جاءت الى فلسطين كأي شاب آخر ولكني بعد ذلك ندمت وازداد ندمي خاصة بعد حرب الخامس من حزيران فلم اعد استطيع الخروج ليلا خوفاً على عائلتي وعلى نفسي ولقد تدهورت حياتي الاقتصادية واصبحت بالكاد أسد رمق اطفالي . لقد كنا نعيش جنباً الى جنب مع اخواننا العرب ولكن هؤلاء الصهاينة حطموا ذلك . ولقد توجهت الى امريكا لايجاد عمل لي وبعد ان وجدت العمـــل رجعت لاخذ عائلتي عند اول فرصة تسنح لي وسأشرح كل هذا لأي يهودي اشعر لديه الميل للحضور الى هنا وامنعه من ذلك . وبعد ان انهى حديثه نهضت كلارا وقالت لهـــم .

ان الطريقة الوحيدة التي نستطيع بها خدمة ابناء بلدنا هي بكشف المخطط الصهيوني الاستعماري لهم وهذا هو المطلوب منا القيام به وسوف نوزع انفسنا الى مختلف البلاد لتكذيب الدعاية الصهيونية .

وبعد ذلك طلبت منهم حمل كؤوسهم ليشربوا نخب بدايه كفاحهم ضد المخطط الصهيوني الاثيم وقد انصرفوا بعد ذلك وكلهم تصميم وعزم ثابتين .

قضى كمال على هذه الحالة اسبوعين وهو يشرح لهؤلاء اليهود كل يوم موضوعاً جديداً عن اهداف الفلسطينين ويعيد شرح تاريخ فلسطين ويناقش معهم الاعمال التي يجب عليهم القيام بها وقد ذهب اربعة منهم هاربين خارج اسرائيل كما ازداد عددهم واصبحت الدار تضيق بهم .

وفي احد الايام وعلى وجه التحديد في يوم ١٩٦٨/٦/٢٢م بينما كان كمال يسير في احد شوارع القدس الجانبية وقد تعود الجميع على رؤيته التقى بأحد الفدائيين

فرآه مرتبكا ارتباكا شديداً فانتحى به جانباً وسأله عن الاخبار فقال له الفدائي :

اني من المجموعة (٥١٥) ولقد تأكدت من وصول بعض الانباء عن دورية لبعض مقاتلينا يبلغ عددهم العشرين قد وصلت الى مقر قيادة الشرطة العسكرية هنا وان هذه الانباء حالما تصل الى الحاكم العسكري سيكون فيها القضاء التام على هذه الدورية كما ان قائمة اخرى لديهم ببعض اسماء مناضلينا هنا واني لا استطيع ترك القدس الآن ولا اعلم مكان الدورية لكي انبئها وسوف يتم القضاء عليها اذا لم نتمكن من اخذ هذه المعلومات او ابادتها فقال له كمال :

وكيف نستطيع اخذها وقد وصلت الى ايديهم الان ؟ اجابه قائلا :

توجد معي الان عبوات ناسفة واني افكر الان بطريقة استطيع بها دخول مقر الشرطة ولقد ذهبت الى هناك مرتين ولم استطيع الدخول واني في حيرة الان ؟فقال له كمال :

اعطني العبوات الناسفة وسأذهب أنا وانسف المبنى وابيد المعلومات التي وصلتهم قبل ان ينقلوها الى الحاكم العسكري ثم اخذ منه العبوات الناسفة وكانت موضوعة في حقيبة يدوية . فحملها كمال واتجه مسرعاً نحو فندق الامبسادور في القدس المحتلة حيث كان مقر قيادة الشرطة العسكرية وكانت لسوء حظه كلارا غائبة فى مدينة تل ابيب .

دخل كمال الى مقر قيادة الشرطة العسكرية بهدوء ثم اتجه الى غرفة القائد وطلب الاذن بمقابلته ولكنهم اخبروه انه ليس في غرفته فسأل عن الذي يدير العمل في غيابه فارشدوه الى احد الضباط فدخل اليه وكان معه ضابطان آخران وبعض الجنود يدخلون ويخرجون وضع كمال الحقيبة بالقرب من الكرسي الذي طلب منه الضابط الجلوس عليه وقد نصب العبوات لتنفجر خلال لحظات وقد امتلأت الغرفة

بالجنود في تلك اللحظة نهض كمال ووقف بجانب الضابط ليحادثه وكانت غايته ان يبتعد عن الحقيبة ولكي يكون بالقرب من الضابط في لحظة انفجار العبوات ليتمكن من احراق المعلومات وقد رآها امام الضابط .

وخلال لحظات انفجرت العبوات الناسفة وكان كمال في نفس اللحظة قد قذف بنفسه نحو المعلومات واخذها بيديه وكان الانفجار شديداً دمر الجزء الاكبر من الغرفة وقد اصيب كمال باصابات وحروق فادحة وكان التقرير لا يزال بين يديه فقذفه وسط النيران المحترقة وسقط على الارض وهو يرقبه .

وقد حضرت سيارات الاسعاف ونقلتهم الى المستشفى .

وكانت نتيجة هذا الانفجار هو قتل جميع الذين كانوا في الغرفة عدا كمال واحد الجنود وقد اصيبا باصابات قاتلة يصعب معها النجاة من الموت .

ولقد اجريت لكمال ثلاث عمليات لاخراج الشـــظايا من جسده ومع ذلك لا زال الخطر محيما عليه . ولقد احتار الجميع بسبب الانفجار وكيف جاءت هذه العبوات الناسفة وكان تقرير افاده كمال هو انها قذفت من النافذة اليهم وكان ذلك في الساعة الثانية ظهراً . وفي المساء حضرت كلارا وقد اعلموها بالنبأ حال وصولها فجاءت راكضة نحو كمال وهي تبكي وعندما رأت جروحه الكبيرة وعلمت ان حياته بخطر ازداد بكاؤها وهو يحاول تهدئتها .

واخيراً وبعد ان خرج الاطباء من غرفته قصى على كلارا كل شيء وقال لها اخـــيراً .

عزيزتي كلارا ارجو ان تنتبهي الى ما اقوله لك جيداً اني اعلم ان اصاباتي قاتلة واني سوف اموت وهذا لايغيضني والذي اريده منك هو ان تستمري في نفس طريقك وان تقدمي كل شيء لخدمة ابناء جلدتك واخواني الفلسطينيين لكي اموت مرتاح

البال وقرير العين وارجو كذلك ان تبذلي جهدك لدفني في القدس بالقرب من مسجد قبة الصخرة هذا رجائي الاخير .

اخذت كلارا تبكي بألم وحنان عميقين وقالت له من بين دموعها وهي تتوسل اليـــه :

حبيبي كمال كيف تستطيع تركي الان ؟ وكيف تستطيع ترك حبي ؟ ومن لي بعدك ؟ اجابها وهو يبتسم بألم وصوت متقطع النبرات .

حبيبتي كلارا ان هذا كتبه القدر علينا ولكن اعلمي ان حبك سيبقى خالداً في قلبي وسوف انتظرك كما ان روحي ستبقى مرفرفة حولك واعلمي ان الله عز وجل قد وعدنا في الاية الكريمة « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون،فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوابهم».

وارجو ان تحفظي لي مكانا صغيراً في قلبك ياحبيبتي .

فازداد نحيب كلارا وهجمت عليه تقبله بشوق وحزن لايوصف وهي تصيح :

لا لا ... لا تتركني ياحبيبي ؟ انني بحاجة اليك .

فامسك كمال بيدها ورفعها الى فمه وقبلها وهو يلهث بصوت مسموع وقال لها :

حبيبتي ارجو ان تعديني بان تنفذي ماقلت لك كمـــا ارجو ان تذهبي غداً الى الشارع الثالث خلف مقر قيادة الشرطة العسكرية الاسرائيلية في الساعة الخامسة مساء فتشاهدين شخصا طويل القامة تقتربين منه وتقولين له : مساء الخير هل الساعة هي الخامسة وخمسة عشر دقيقة فيجيبك قائلا نعم حسب توقيت الســـاعة التي في فندق الامبسادور .

ثم تقصين عليه بعد ذلك مفصل الحادثة كلها .

وسكت وهو يلهث وقد صرف مجهوداً كبيراً وكانت عيناه معلقتين فى عيني كلارا

وبعد لحظات قال لها :

ألا تعديني ياحبيبتي ؟

أجابته من وسط نحيبها : اني اعدك بتنفيذ كل ماقلته ياحبيبي .

فصاح بها قائلا :

ارجو ان تودعيني بابتسامة مشرقة . . . ابتسمي . . . ابتسمي ... ياحبيبتي . . . ابتـ ... سمي .. فحاولت بجهد جبار الابتسام واخيراً ظهر شبح ابتسامة على شفتيها فمد كمال يده اليها ورفع رأسه قليلا وهو يبتسم ولكن رأسه سقط في تلك اللحظة الى الخلف فاقداً الحياة فصاحت كلارا بصوت عالي :

حبيبي كمال ... كمال ... لاتمت ... لاتتركني ..

واجهشت ببكاء شديد وقد دخلت الممرضة في تلك اللحظة وعندما رأت ما حل بالجريح عادت مسرعة لاعلام الطبيب الذي تأكد من موت كمـــال وكان بنظرهم لايزال هو الطيار الايراني سليم عباس ولقد دفن تحت هذا الاسم وانتقلت روحه مرفرفة الى جنات النعيم والى رب رؤوف رحيم .

ـ تمت ـ

الفهـــرس

الموضـــوع	الصفحة
الاهـــداء	٣
المقدمـــة	٥
الفصل الاول : التعارف	٧
« الثاني : بداية حب	٢٥
« الثالث : النكسة	٥٢
« الرابع : معركة الكرامة	٦٨
« الخامس : الاعتقـــال	٧٨
« السادس : اللقـــاء	٨٩
« السابع : قتال وحيرة	١٠١
« الثامن : الخاتمـــة	١٢٤
الفهـــرس	١٣٨

الخطأ والصواب

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
بقلـبي	بقلمي	٥	٧
وارتصوا	وارتضوا	٥	١١
وجههه	وجهه	١٩	١١
ولكم	ولكني	٣٣	١٩
تفوقفت	توقفت	٣٤	١١
يذه	يده	٣٤	٢١
ا شلة	الشلة	٣٦	٣
صاحكا	ضاحكا	٣٩	٧
و د	وقد	٣٩	١٤
لاخنلاف	لاختلاف	٥٤	١٦
تحقيق	تحقق	٥٧	١١
طفئوا	اطفئوا	٦٢	١٢
وانطلفوا	وانطلقوا	٦٦	٥
تستتجد	تستنجد	٧٤	١١
الاطفاال	الاطفال	١٠٤	١٠
فارتسمت	فابتسم	١٠٤	١٢
فد	قد	١٠٤	٦
دوف	سوف	١٠٤	١٧
الامبادور	الامبسادور	١١٨	٤
شباب وفتاتين	فتيات وشابين	١١٩	١٠

ولد المؤلف في مدينة الموصل عام ٩٤٥ وانهى دراسته الثانوية والجامعية فيها / عام ١٩٦٧ هذا الكتاب . . . .

يشرح بدء نشوء الكفاح المسلح الفلسطيني لحرب التحرير الشعبية في الارض المحتلة والشعور الغربي عن الأمة العربية وكذلك نقاط التفرقة بين الصهيونية العنصرية واليهودية العالمية وثقة الامة العربية بالنصر على يد الفدائيين الابطال .

وقد جاء رد الاستاذ عبد الخالق حسونة الامين العام للجامعة العربية على هدية المؤلف كما في رسالته اعلاه . . . .

الجامعة العربية

مكتب الأمين العام

السيد الاستاذ يونس علي الشلهومي

كلية الهندسة

الموصل العراق

تحية طيبة وبعد قد تلقيت شاكراً كتابكم المؤرخ في ٣١ / ٣ / ٧٠ ومعه نسختان من قصة (بداية كفاح) من تأليفكم وانني اذ اقدر لكم غيرتكم على قضية فلسطين وبداية كفاح شعبها في سبيل استرداد ارضه ارجو التفضل بقبول وافر الاحترام

الأمين العام

٢٩ / ٤ / ١٩٧٠

طبع الغلاف بمطبعة جامعة الموصل
(غ ١) ١٩٧٠/٩

COLUMBIA UNIVERSITY
THE
LIBRARIES
IN THE CITY OF NEW YORK
GENERAL
LIBRARY

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU52910032
DS119.7 .S53
Bidayat kifah :

DS-1197-.S53